

وزارة الثقافة والإرشاد القومي

مديرة التأليف والترجمة

# الجنات المطوقة الإبهراديز وادون ظهراوة

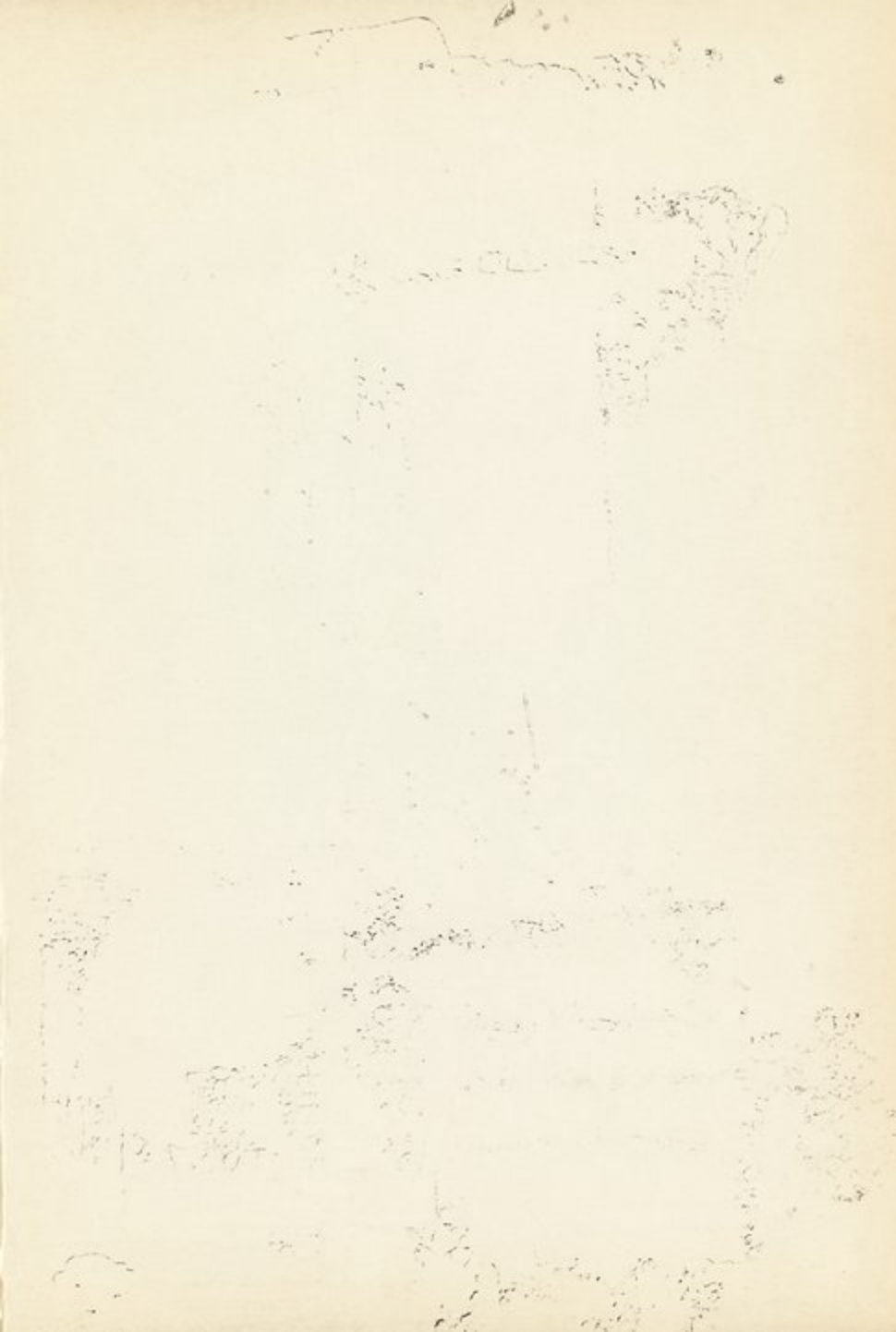
مسرحيات

الليف: كاتب ياسين

ترجمة: ملك ابيض العيسى

مراجعة: الدكتور كمال عموري

سلسلة الأدب الجزائري ٥







هدية

وزارة الثقافة والإرشاد القومي

مديرية التأليف والترجمة

# البحث المطوّق

الأجداد بين دارون وصراوة

مسر حينات

تأليف: كاتب ياسين

ترجمة: ملك أبيض العيسى

مراجعة: الدكتور كمال خوري

منزوم الطبع والنشر والتوزيع  
دار وشركاه

سلسلة الأدب الجزائري

٥

دسنة ١٩٦٢

~~956.9~~

~~Un 28~~

~~5-6~~

956.9

Sy 19

5-6



## مقدمة

بقلم

ملك أبيض العيسى

إنها مفاجأة كبرى للقارئ العربي أن يرى ، خلال التبشير الأولي  
للنهضة الأدبية في وطنه ، عملاقاً كبيراً ينتصب على قدميه ، ويتقدم  
ليأخذ مكانه في الصفوف الأولى بقدم ثابتة ، جنباً إلى جنب مع  
الآداب العالمية التي ناضلت طويلاً حتى تبوأ هذا المكان .

وكما عقدت الدهشة ، منذ سبع سنوات ، لسان المواطن العربي  
الساخط على الاستعمار ، المتبرم بأوضاعه المهترئة ، عندما انطلقت ثورة

الجزائر المسلّحة انطلاقاً المعجزات تنتزع أرضها السليبة من مخالب  
الاستعمار بالدم والسلاح ، فوقفَ يرمقها بنظرة حب واكبار .. هكذا  
يقفُ القاريء العربي الآن معقودَ اللسان إذ يرى هذه البقعةَ من وطنه  
'تطّلعُ' ثورةً فكريةً ، وأدبيةً ، تواكب الثورة المسلحة ، وتعكس  
أحداثها كصفحة المرآة . بل إنها لتُحاول أيضاً أن تشرحَ دوافعها ،  
وتحددَ سُبُلها وغاياتها . لتصلَ بها إلى المستقبل الذي تتطلع إليه .. .  
لقد ظهر في أعقاب الحرب العالمية الثانية أدب جزائري قويّ ناجح ،  
لمعت من خلاله أسماء كبيرة : مولود فرعون ، مولود معمري ،  
إدريس الشرايبي ، محمد ديب ، مالك حداد ، كاتب ياسين .. .

ولكنّ هذا الأدب - أقولُ ذلك والألم يملأ جوانحي - يتخذ اللغة  
الفرنسية وسيلةً للتعبير . إن أصحابه يجهلون لغتهم الأم .  
هذا الأدب يتميز بخصائص بارزة ، يطالعك أول ما يطالعك فيه  
الالتزام .

نحن ملتزمون ، كما قال مالك حداد . قد يشغلُ غيرنا عبثُ  
الحياة ، وقد يفلسُ بعضهم القلقَ والسأم .. أمّا نحن - أبناء الجزائر  
الذين فتحنا عيوننا يوم ٨ أيار على مأساة شعبنا - فلم نستطع أن نحذو  
حذوهم . لقد اخترنا طريق الثورة الذي اختاره شعبنا . الثورة على  
الجيش المحتل الذي يركلنا بأقدامه ، ويُلقي بآبائنا واشقائنا صرعى  
أمام أعيننا .. الثورة على « المعمّرين » الذين سلبونا أرضنا ، واستثمروا  
كرومنا وبرتقالنا .. الثورة على المرتقة مديري المعامل والورش الذين  
يُعمِلُون فينا سياطهم ويعطوننا بالمقابل أجراً لا يسد الأفواه الجائعة  
التي نعولُها .



لقد ثرنا على سلبينا شخصيتنا . . حتى أصبحنا نرطن بلغة لا يفهمنا  
فيها آباؤنا وأمهاتنا . . وسلاحنا في طريق الثورة حنجرّة صافية ،  
وقلمٌ مُخْلِص .

والميزة الثانية التي تطالعك في الأدب الجزائري المعاصر هي الواقعية .  
وقد تكون هذه الخاصة نتيجة لتلك .

لقد اختار الأدباء الجزائريون جانب الثورة التي يعيش فيها شعهم ،  
فوقفوا ملياً عندها ، وأعملوا حواسهم وملاحظتهم فيها ، فانطلقت باحثة  
منقبة ، ترى كل جرح ، وتسمع كل أنثّة وزفرة . وعادوا بذاكرتهم  
إلى الوراء ، إلى أيام طفولتهم التعيسة ، إلى شقاء آباءهم وأجدادهم ،  
فاكتملت الصورة ، صورة الوطن الطعين . . صورة الشعب الأبيّ  
الذي نملأ صدره الآمال ، ويشطّ به الطريق إليها . .

وكتب ياسين . . كاتب « الجثة المطوقة » و « الاجداد يزدادون ضراوة » ،  
وكتب « نجمة » ، وصاحب عدد من المجموعات الشعرية ، والمسرحيات . . هو في  
رأبي أشدّ كتاب الجزائر عمقاً وأصالةً . وهو أشدهم ارتباطاً بالماضي ، يقف عنده  
كما يقف المسافر في زورقٍ نائه تتقاذفه الرياح والأمواج ذات اليمين وذات الشمال .  
إنه ينصت الرياح التي تهب على الجزائر - ذلك المركب الصغير السائر في غمار  
المحيط - باحثاً عن أسباب ضياعه . إنه يحكي عن مواطنيه المتخاذلين ، عن  
أفقدتهم الصدمة صوابهم فجرفتهم إلى جثة الانحلال ، عن الحونة والجوايس . .  
إنه يتحدث عن الوحش الفرنسي الضاري المنشب محالبه في جسده . .  
ثم ينتقل من رياح الشر إلى نسيمات الخلاص . . كل ذلك بلغة بالغة  
الروعة ، واقعية إلى أبعد الحدود ، رمزية حتى الإغراق ، شعرية حتى  
لتفتت الأفتدة .

ذلك هو الأسلوب الذي يطلق عليه الأديب الفرنسي « ادوار غليسان »  
في مقدمته اسم الواقعية الشعرية .

وهنا أتوقف لأبدي ملاحظة لا بد منها لمن يود قراءة آثار كاتب  
ياسين .

إن الطابع الرمزي الذي يطغى على مؤلفاته يتجلى أبرز ما يتجلى في  
استخدامه شخصيات رمزية كشخصية « نجمة » و « الأخضر » و « طاهر »  
و « مارغريت » .

ولا كتناه مدلولها يجد القارئ نفسه مضطراً إلى تتبعها في أكثر من  
مؤلف . إن رموزه هذه شخصيات تتردد في كل مؤلفاته تقريباً .  
ولم لا ؟ فموضوعه هو هو : الجزائر التي تصارع في سبيل الحياة .  
والقوى المتصارعة هي هي : إنها المجاهدون في جانب ، والاستعمار  
وأعدائه في جانب آخر . والمكان هو هو : الجزائر ، أرض المعركة .  
ولعل رواية « نجمة » أكثر كتبه إيضاحاً لتلك الرموز .

ومع ذلك . . يجدر بنا أن نذكر أن المؤلف لا يألو جهداً في  
الإمساك بيد القارئ ، وقيادته في هذه المهمة العسيرة . يفعل ذلك  
تماماً كما يفعل مخرج فنان في مسرح الدُّمى او العرائس .

إن سر رموز عرائسه لَيْتَجَلِي في السماء ، والألوان التي يُضْفِيها  
عليها . . في الكلمات التي يُجْرِيها على لسانها . . في الإطار الذي يحركها  
داخله . . في المواقف التي يجعلها تتخذها . إن اللغز ليتوضح حتى في  
الانفعالات التي يُضْرَمها في صدورها ، والعلاقات التي يربط بها الرمز  
بالآخر . وإذا بالقارئ يأنس أخيراً بهذه الشخصيات ويألفها ، وإذا به  
يكشف سر المؤلف كله .

أليس هذا موقفاً من شعراء الصوفية الذين يلبسون مشاعرهم الدينية لبُوسَ العشق الجسدي ، حين يستعيرون للتعبير عن أشواقهم إلى النور السماوي القوالب اللفظية الموضوعة لخلجات القلب والجسد ؟  
ولندع الأسلوب الآن .. فان مقدمة الأديب الفرنسي ، وقد أنبتناها هنا ، تعطي عنه فكرة جلية .

ولنتطرق الموضوع ... موضوع مسرحيتنا ، وموضوع جميع مؤلفات كاتب ياسين ..

وأراني هنا مضطرة للاستعانة برواية « نجمة » ، لالقاء ضوء على المسرحية التي أقدم لها . ألم أقل أن أعمال هذا الأديب مترابطة ، يكمل بعضها بعضاً ؟

لا بد من وقفة قصيرة عند رواية « نجمة » إذأ ، لنتمسك بالخيوط الدقيقة لشخصيات « الجنة المطوقة » وأحداثها ..

إن أبطال رواياته : الأخضر ، مصطفى ... شباب ينتمون إلى قبيلة من البدو الرحّل تقطن أحدَ جبال الأوراس ، قرب مدينة قسنطينة ، ويُطلَق عليها اسم « قَبْلَوْت » .. نسبةً إلى زعيمها الذي هاجر مع أفراد أسرته من المشرق العربي ، في فترة غير محدّدة ، ماراً بالبحر الأحمر ، ومصر ، مجتازاً المغرب العربي ، تحط به الرحال في جبل « النَّار حُور » على مفترق الطرق بين تونس والجزائر .

وكبّرت القبيلة ، وأصبحت مع الزمن كثيرة الأتباع ، منيعة الجانب ، لها مضاربها ومزارها ذو العلم الأخضر ، وجامعها . وكان الحكام الذين يفرضون سيطرتهم على الجزائر يهابونها ، فيضعون حامية من الجند بالقرب منها ، خوفاً على سلامتهم . وحذا الفرنسيون حذوهم

باديء الأمر ، ثم ما لبثوا أن بعثوا بجواسيسهم يجوسون الجبل بحثاً عن وسيلة لمحق القبيلة المتمردة .

وجاء الحلُّ في صباح أحد الأيام .. ذهلَ القبَلوتيون عندما شاهدوا جُنُتَيَّ رجلٍ وامرأة غريبتين مجهولتين تسيلُ دماؤهما على أرض جامعهن . ولم يستفيقوا من دهشتهم إلاَّ على الحديد والنار يُعْمِلَانِ في القبيلة حَرْقاً وذَبْحاً انتقاماً للضحيتين . ويُسَاقُ ستة من زعماء القبيلة فَتَقَطَّعُ رؤوسُهُم أمام من نجا من أتباعهم بعد جلسة صُورية عقدها محكمة عسكرية أُلِّفَتْ فوراً لهذه الغاية . لم تكن المجزرة قد انتهت حين وصل رسولٌ من السلطات المركزية يعتذر للقوم عن الحادث ، ويعترف ببراءتهم من الجريمة التي كانت سببَ المجزرة . ومن ثمَّ يكفّر عن حَزْرٍ رؤوس الزعماء الستة بمنح أطفالهم ، الذين لم يغادروا المهديَّ بعد ، ألقاباً تمثل الوظائف التي ستسندها إليهم السلطات عندما يبلغون سنَّ الرشد .

استفاقت القبيلةُ من هذه الضربة فوجدت نفسها دون رئيس يَلُمُّ شَعْنَهَا . وجدتُ مسجدَها أنقاضاً ، ومضارِبَها أطلالاً دارسة . وعند ذلك أتمَّ الفرنسيون الحُطَّةَ .. فتحوا صَفَاحَاتِ سَجَلِهِم المديني ، وأمسكوا بالسجلات الأربعة التي سُجِّلَ فيها أفراد القبيلة ، وشُطِبَ السجِّلُ الأول . بعد أن أقطعوا من بقي على قيد الحياة من المسجّلين فيه بعض الأراضي البعيدة ، ثم ما لبثوا أن انتزعوها منهم بعد حين ، وشردوهم في البلاد .

وتابعوا المهزلة أو المأساة .. فَوَزَّعُوا على أحياء السجِّلِ الثاني



بعض الأعمال الإدارية ، وبعثوهم بذلك بعيداً عن وطنهم في مجاهل الأرض .

وعاملوا أحياءَ السجل الثالث بنفس الأسلوب .. إلا أن هؤلاء الموظفين الجُدُد صاهروا عائلاتٍ غريبةً عن القبيلة ، فازداد بعدهم عنها . فما كان من الباقيين ، أحياءَ السجل الرابع ، إلا أن تسَلَّلوا الى أطراف المنطقة ، وأقاموا هناك تحت أسماءٍ جديدة ، ورسِموا الحُطَّة لشد أواصر القبيلة ودَعَمِها بالتزاوج فيما بينها ، تاركين حفنةً من شيب القبيلة ، وأراملها ، وأيتامها ، في الجبل الجريح ، إبقاءً لذكراها ، وحِفْظاً لأثرها . ومن أسماهِم ، من بقايا ثيابهم ، صنع هؤلاء اليائسون عكماً أخضر ، رفعوه على مزارم المهجور .

يمثل الفئة الأولى قبوتي اسمه « سي أحمد » . انتزع الفرنسيون منه الأرض التي أقطعوه إياها بعد المجزرة ، فلم يبق له الا قليلٌ من المال بعثه في المجون والاستهتار مع الفرنسيات . وقُتِل في شبابه في حادث سيارة كان يستقلها مع بغي فرنسية . تاركاً زوجته القبوتية « زهرة » ، وطفلين .. أحدهما « الأخضر » الذي كان ما يزال رضيعاً .

عادت « زهرة » الى الجبل مع ابنها .. الى أن زوجها من تاجر اسمه « طاهر » ، يمثل أعوان الاستعمار ، الذين يرتفعون بخدمة المستعمر ، والتجسس ، على مواطنيهم .

ويمثل الفئة الثانية « سي محمد » الشريب ، وهو محام ، او بالأصح وكيل يتعامل مع الافرنسيين ، ويحضر مجالس سكرم ، ولهووم .. ينتهي به الحال الى الموت مسلولاً ، تاركاً زوجته القبوتية « وردة »

في أحد مَصَحَات الأمراض العقلية ، وابنه « مصطفى » صديق الأخضر  
الحميم ، وشريكه في مظاهرات ٨ أيار التي طُرِدَ على أثرها من المدرسة  
الافرنسية ، ودخلا السجن ، لقد جمعتها رابطةُ الدم ، ورابطةُ الشعور  
بمأساة وطنها ، فانضويًا مناضلَيْنِ تحت لواء حزب الشعب الجزائري ،  
قائد حركة النضال في ذلك الحين .

وها أنذا أصل أخيراً إلى أهم رموز كاتب ياسين .. إلى نجمة .  
نجمة .. كما تجلوها رواية « نجمة » فتاةٌ بدأت حياتها في أحشاء  
أمها ذات ليلةٍ أمضتها تلك الأم الفرنسية المستهترة في مغارةٍ مع رجلين  
من رجال القبوت ، قادها إلى هناك ، ثم تنازعاها ، فقتلَ أحدهما  
رفيقه ، وانفرد بها .. فولدت منه نجمة .

قضت نجمة حياتها موزعةً بين أمها الفرنسية ، وأبيها الجزائري ،  
وامرأةٍ جزائريةٍ عاقرةٍ تَبَنَّتْهَا ، وزوجٍ جزائريٍ خاملٍ لم تطب لها  
معاشرته .. إلى أن عاد الصوابُ إلى أبيها الكهل ، فاختطفها من  
زوجها ، وارتقى بها إلى جبل الأجداد ، حيث أعادها إلى أحضان  
القبولتين المخلصين قبل أن يُسَلِّمَ الروح .

لقد تدله في جها عددٌ كبير من شباب القبيلة الذين وُلدوا بعد  
النكبة . أحبها الأخضر ، ونذّر حياته لها .. كما أحبها مصطفى ،  
وحسن ، وغيرهم كثيرون ..

يقول الأخضر في « الجئة المطوّقة » عن حي القصة :

« هنا زقاق « نجمة » .. نجمتي ... »

إنها الشريان الوحيد الذي أريد إعادة الحياة إليه .

ويبدو طبعياً أن نجمة هذه ليست إلا رمزاً .. إنها الجزائر نفسها .. إنها



الوطن الضائع ، والمائل أبدأ . . . لهذا الوطن الذي ينبغي خلقه من جديد . . . هناك في أعالي الجبل . . . جبل الأجداد . . .  
إنّ التعقيدَ والغموضَ يحيطان بها من كل جانب :

« هذه هي نجمة . . . التي تَعْرَقُ الأيدي حين تظن أنها قد أمسكت بها . . . انك لتراها حيناً واضحةً جليةً ، وإذا بها تبتعد عن ناظرَيْكَ ، حتى لتَصْعُبُ عليك رؤيتها . . . لهذا نجمة . . . الصعبةُ المنال . . . لهذا الغولةُ ذاتُ الدم القاتم . . . نجمة التي يتنازع الرجالُ أبوتها . . . لكانَ أمها الفرنسية قد حكمت عليها بأن تكون كالزهرة السامة التي لا يمكن استنشاقُ غيرها . . . لقد لَوَّثَتْهَا أمها في أعماق جذورها . . . »

نعم . . . لقد شوّهت فرنسا الجزائر . . . لقد مَسَحَتْ تاريخها . . . وقضت على لغتها ، ومثليها ، وتقاليدها . وأبطال كاتب ياسين يذكرون لها جرميتها ، ويريدون تطهير أنفسهم ، وتطهير بلادهم منها . . . ولا يشكون الفقر والجوع ، بقدر ما يشكون التمزق والضياع الذي يعانونه . . .

إن أسئلة عديدة تتردد على شفاههم ، وتنتظر الجواب . . .  
من نحن ؟

ما هو موقفنا من آبائنا ؟

ما هو موقفنا من المتخاذلين من مواطنينا ؟

ما هي أمتنا ؟

ولا يلبث الجوابُ أن يأتي . . . لهذا التجاربُ المرةُ القاسية التي تضعه على لسانهم ، فإذا هم يعرفون :

لا . . . لسنا فرنسيين قَطُّعاً . . .

ولن يكون الفرنسيون إلا أعداءنا . . .

حتى مارغريت ( التي يرمز بها للفرنسيين الذين وقفوا أخيراً يناصرون  
المجاهدين الجزائريين ) . . . حتى مارغريت . . . قد تأخرت كثيراً في  
الانضمام إلى جانب الحق .

وآباؤنا ؟ . . . لم يكن آباؤنا موضع فخرنا واعتزازنا في يوم من  
الأيام . . . ألم يُقتل أبو الأخضر في سيارة مع بغيّ فرنسية ؟ ألم  
يَقْبُض أبو مصطفى مسلولاً بعد حياة لهُوٍ وسكر في الخمرات الفرنسية ؟  
لقد استبدلوا هذه الحياة الرخيصة بحياة القبيلة . . . ولكن . . . لماذا  
نبعث الذكريات ؟ إن آباءنا قد أصبحوا من الماضي . . . فلندع الماضي  
جانباً . . . وَلِنَسْتَجِهِ إِلَى الْأَمَامِ !

أماً الحَوْنَةَ أُمثال « سي طاهر » ففهم يكمن الخطر الحقيقي على  
ثورتنا . . . هؤلاء الذين ينشدون الثروة والجاه ، ولو داسوا على رقابنا .  
لنهم يزرعون حرايبهم في صدورنا ، ويشدّون جثتنا إلى جذوع الأشجار . . .  
هذا ما فعله « سي طاهر » بالأخضر ( رمز الثورة ) . . . فلكنحاربهم أينما  
وجدناهم . وَلِنَسْجِثَهُمْ مِنْ تَرْبَتِنَا كَمَا تَجُثَّتِ الْحَشَائِشُ الضَّارَةَ .

وأخيراً . . . ما هي أمتنا ؟

إنّ الجواب هنا عسير . . .

أتكون أمتنا تلك الدولة النوميديّة القديمة التي احتلّ فرسانها المغرب

في سالف القرون ؟

أتكون تلك القبيلة التي هاجرت من المشرق العربي ، إثر هزيمة

حلقت بها ؟

يبدو أن جواباً قاطعاً يوشك أن ينطلقَ من أفواههم . . .

إنهم على وشكِ القولِ :

إن أمتنا هي تلك التي حرّمنا لغتها . . . هي تلك التي شطرنّا عنها . . .

إنهم على وشك أن يقولوا :

إنها الأمة العربية . . .

لنستمعُ إلى مارغريت تقول للأخضر :

« يبدو لي أنك عربي . ، وأن ذلك الدم يسري فيك . . . »

فيجيب :

« نعم . . . إن ذلك الدم يسري في عروقي . »



تلك هي أمُّ المعالم التي توضح طريق هذا الفنان الوعر العميق . . .

وأخيراً . . . فقد آن للقارئ أن يعرف لمحةً عن حياة كاتب ياسين . . .

وأهم آثاره .

ولن اكتب أنا هذه اللوحة . . . بل سأتركها لدار من أكبر دور

النشر في فرنسا هي دار « Du Seuil » تقدمه لقراءتها بهذه الكلمات التي

اكتفي بترجمتها :

« تعني كلمة كاتب في العربية الشخص الذي يكتب . ولعل أهله

تنبأوا له بمستقبله الأدبي حين سموه هذا الاسم .

ولد كاتب ياسين في ٢٦ آب ١٩٢٩ . في كونده - سماندو

التابعة لقسنطينة .

وهو ينحدر من قبيلة عريقة في العلم والأدب .

انقطعت دراسته الثانوية في ثانوية « سطيف » عندما أوقف ، وهو لم يتجاوز السادسة عشرة ، وأودع السجن ، إثر مظاهرات ٨ أيار ، عام ١٩٤٥ . ثم أطلق سراحه بعد عدة أشهر .

١٩٤٦ نشر أول مجموعة شعرية باسم نجوى .

١٩٤٧ سافر لأول مرة الى فرنسا ، وبقي فيها حوالي تسعة أشهر .

١٩٤٨ سافر للمرة الثانية الى فرنسا ، ونشر قصيدة « نجمة » في

« الميركورده فرانس » .

١٩٤٩ عمل مراسلاً صحفياً في صحيفة « الجزائر الجمهورية » ، فأتاح له

المجال ليطوف في العربية السعودية ، والسودان المصري ، ويسافر

مرة الى آسيا الوسطى السوفياتية . وفي هذه الأثناء نشر عدة

قصائد في باريس والجزائر .

١٩٥٠ توفي والده ، فحمل أعباء أسرته .

١٩٥١ ترك الصحافة ، واضطر الى أن يعمل حملاً في مرفأ الجزائر .

ثم تلت هذه الفترة القاسية ، فترة بطالة أقسى . فعاد الى فرنسا ،

وعمل هناك خادماً في مزرعة ، ثم عاملاً زراعياً ، ثم عامل

بناء ، ومساعد كهربائي .

١٩٥٤ وقف جل وقته على الانتاج الأدبي ، بعد أن أمده بالمساعدة

بعض إخوانه . فأخرج رائعته الطويلة رواية « نجمة » ، ثم

مسرحية « الجثة المطوقة » ، في عام ١٩٥٥ . وقد قدمت على

مسرح بروكسل . ويُنتظر تقديمها قريباً على مسارح باريس .

هذا هو أديبنا الجزائري الذي نقل الواقع الى لغة الشعر الجميل .

وصورَ تملل الثورة في صدر بلاده ، ثم انفجارها جثّاً وضحايا تتراكم

في أزقة الجزائر البائسة المظلمة ، تنشد طريق الحرية والخلص ..  
إن المساهمة في نقل روائعه الى اللغة الأم ليست اكثر من تحية  
إكبارٍ وتقدير الى البلد العربي العظيم الذي ينبج مثل هذا النبوغ في  
قلب البؤس والدمار .

تحيةً الى الجزائر العربية ، الصامدة .. الواثقة من حرّيتها ، وغدها  
المشرق .. العزيز .

حلب : ملك أبيض





# نشيد كاتب ياسين العميق

بقلم الكاتب الفرنسي

إدوار غايسان

ظهرت مسرحية « الجثة المطوقة » لأول مرة في مجلة « فكر Esprit » في كانون الأول ١٩٥٤ ، و كانون الثاني ١٩٥٥ .  
وقد أضيف إليها في هذا الكتاب مسرحيتان أخريان تؤولفان معها  
المجلد الأول من مسرحيات كاتب ياسين .  
يمكننا منذ الآن أن نحاول استكناه غرض هذه المجموعة . الأدبية  
ومراميا .

أما أنا فمذ قراءتي الأولى « للجثة المطوقة » تذكرت عنوان قصيدة  
شهيره هي قصيدة « الكانت هوندو » Le poème du Cante Hondo



هناك مؤلفات تنعوص إلى أعماق عصرنا بقوة ، وتقيم نفسها  
جذورا لا يحيد عنها لهذا العصر ، تمثله بدقة ، وتستخلص منه نشيده العميق .  
إن ميزتها الرئيسية - كما أرى - تتلخص في أنها تنظر إلى العالم وكأنه

جُهْدٌ ، أو عمل يجب أن يُنجز ، لا كسرٍ غامضٍ ينبغي أن نجاهد  
بلذة لاكتشافه .

إنها ترى العالمَ وحدةً مجزأة يجب الوصول في النهاية إلى وحدتها ،  
لا كجوهر غامض يكاد يستحيل الاقتراب منه .

لذلك . . لم تكن تكن هذه المؤلفات لتكتفيَ بالمرور على سطح  
الأشياء والعالم ، لتقدم عن كل ذلك لمحاتٍ « موضوعية » ، أو رؤى  
أحلام . . بل نراها تعمل جاهدةً على التغلغل في الحقيقة بطريقة أشد  
ما تكون التصاقاً بالأعماق .

إنها تؤثر أن لا تتعرض للحقائق إلاً من زواياها الحادة ، من عقدها  
الحساسة التي يملك الشعراء وحدهم القدرة على كشفها ، والاحاطة بها .  
إن مؤلفات هذا شأنها تتجاوز عمداً مجرد تعداد المظاهر ، فهي ما  
تكاد تختار أحد التفاصيل حتى نلاحظ على الفور أنها اختارته لقوة دلالاته ،  
ومعناه ، لوضوحه الهائل . . عند ذلك يبدو لنا أننا نلمس قلب الواقع  
ذاته ، ووضوحه الكامل ، الأكثر عمقاً واختباءً .

هذا الأسلوب الذي يتجاوز الرثابة الباهتة . . للواقعية الكاملة التي  
لا تريد أن تهمل ولا تهمل شيئاً من التفاصيل فتجرد الواقع من  
قوته الحقيقية .

هذا الأسلوب هو أسلوب مسرحيات كاتب ياسين . . ولعل خير  
اسم نطلقه عليه هو : الواقعية الشعرية .

لقد تكلمتُ عن العالم ، عن عالمنا ، كما تراه ، مؤلفات النشيد  
العميق . . كجهد ، كوحدة مجزأة ينبغي إعادتها إلى وحدتها .

كيف لا يفهم المرء بأن هذه النظرة التي تبني عالمنا كله على أساس  
شاعري هي في الوقت ذاته نظرة مبنية على أساس إنساني في واقعنا  
اليومي الأكثر ابتداءً والأكثر إغاظة .

البيست هي مأساتنا جميعاً التي ترسم هنا من وراء القتال والصدمات  
والحروب بين الشعوب .

لقد آن لنا أن نفهم ، في غمار هذا العالم المضطرب ، الذي يتمخض  
كل يوم عن ميلاد مفاجيء ، بأن من المستحيل أن نتجاهل القوى  
الجديدة التي تحطم يومياً كل مفاهيمنا السائدة عن الوجود والفن ..  
لتعيد بناءها من جديد .

هذه القوى التي تفجر غلاف الفرد هي قوى الشعوب التي أصبح  
كل منها يعرف الآن بالنسبة الى الآخر .

لقد اكتشف العالم حتى الآن بكامل حدوده الجغرافية ، ولم يبق  
مجال لتجاهل هذا الشعب أو ذاك من شعوب الكرة الأرضية .

إننا اليوم ، أكثر منا بالأمس ، لا نستطيع أن نجابه حياتنا أو  
فننا بمعزل عن الجهد الهائل الذي يبذله البشر من شتى الاجناس  
والثقافات في محارلاتهم الرائعة للتقارب والتعارف ..

اليوم أصبحت الدائرة مغلقة .. وها نحن جميعاً نقف في مكان  
واحد هو الارض .. الارض كلها .

ومن هنا .. تبتدىء وتتسع مأساة عصرنا .. هذه المأساة التي  
تتمثل في وجود الانسان أمام يقظة الشعوب .

مأساة القَدَر الفردي الذي يقف وجهاً لوجه أمام القَدَر الجماعي ..

هذا الأساس السرمدي للمأساة يصبح من جديد أساساً للمؤلفات  
العظيمة للانشاد العميق العصري .

لأنه من هذه المواجهة بين القَدَر الفردي والقَدَر الجماعي يستطيع  
الانسان - كفرد - أن يحب ، وأن يفهم الشعوب .  
وتستطيع الشعوب بدورها أن تُعْنِيَ النتاج الانساني ، وتضمن له  
الاستمرار والبقاء دون ان تفسد شيئاً مما يحمله كل فرد في نفسه من  
أصيلٍ وثمين ..

تلك هي إحدى الخصائص الكبرى لهذا اللون من الفن الذي يسمونه  
المأساة .. هذا الفن الذي مُنِيََ بالتقهقر في القرون السابقة حين اضطر  
الانسان أولاً ان يجاهد لاستعادة شخصيته حين كان يطالب بها في إلحاحٍ  
وإصرار كإتمامٍ لعمله وانتاجه .. هذا اللون يعود الآن بمحتوى جديد .  
إن النتاج المسرحي لكاتب ياسين صورة مثالية لهذه المأساة المعاصرة  
التي ذكرتها ، المأساة التي يحاول بها الفن عامةً ، والفن المسرحي على  
الأخص ، أن يتصل بالعالم ، ويجعله ينسجم معه ، ويوضح بهذا الشكل  
القَدَر المشترك لجميع البشر .

إن الحقيقة التي يعبر عنها هنا هي حقيقة الشعب الجزائري .. سواءً  
ذلك في المأساتين : « الجثة المطوقة » و « الأجداد يزدادون ضراوة » ،  
أو في « مسحوق الذكاء » .. تلك الملهمة ذات الدلالة القوية التي  
توسطها كزَمَنٍ مسرحي ثانٍ .

في هذا الزمن يفسح الكاتب المجال لنجمة « الجثة المطوقة » أن  
تتكامل في الأعماق ، لتتقلب المرأة الضارية في مسرحية « الأجداد ... » .  
لها الجزائر المفجعة ، المائلة أبدأً ، التي تبعث الحياة في المسرح ..

تحدد فيه المكان ، وتوجه الزمان .  
إنها الجزائر التي تعطي هذا المعنى الحي للتفاصيل الممتعة ، والحركات  
الصافية ، والشعر الذي لا حدود له .

لا ينتج من ذلك ان الرموز التي يلجأ اليها كاتب ياسين في مسرحياته ،  
كرمز الأجداد مثلاً ، لا تتدخل في فنه كعرض فارغ ، يغطّي الواقع  
بقناع زائف ، وإنما هي تجسيد شعري نابض بالحياة لهذا الواقع .

بهذه المميزات والخصائص الجديدة نرى أنفسنا أمام مسرح عظيم حقاً .  
ولا بد لي من وقفة عند لغة هذه المؤلفات ..

إنها لغة الشعر ..

إن المؤلف لا يتروّد في أن يعبرّ بغموض عما هو غامض مظلم  
في الانسان .

ولكنه ينفجر في خطوط دقيقة عند ما يرى بأن هناك حقائق  
يجب إبرازها بدون لفّ أو دَوْران ..

إن لغة كهذه تتناوبها الحرارة والظلمة كليلّة صيف . والسرعة  
والفاعلية كأداة ماضية في اليد .

إن لغة كهذه لتلائم كل الملاءمة هذا المشروع الهائل .

إنها لا تضحى بعظمة الفن أمام الهدف الذي ترمي إليه ، ولا تجعل  
من الهدف النبيل ضحيةً للتعبير الهزيل .

أما من حيث الفن المسرحي فقد ذهلت لهذا التلاقي بين كاتب  
ياسين ، و « إيمي سيزيز » في مسرحية « الجثة المطوقة » ، ومسرحية  
« ... وصمّت الكلاب . »



إننا نستطيع أن نجد لحظات مختارة وان نلمس في أكثر مكات  
الأساليب المتماثلة ، والحواطر المتواردة ، بين كاتبين منكبين على  
موضوع واحد .

إن هذه العُجالة لا تتيح لنا الفرصة الكافية لتوضيح هذا اللقاء  
بين الشاعرين اللذين يبدوان لأول وهلة جداً متباعدين ، يوجه كل منهما  
إنتاجه بأسلوب يختلف عن الآخر .

ولكن أليس هذا دليلاً واضحاً على شمول المناسبة ، وأصالتها ،  
وصدقها .

\*\*\*

وختاماً .. أرجو أن يتاح للكاتب في يوم من الأيام أن يقدم لنا  
مسرّحَ الفرح والسعادة الذي يستحقه دون شك وطنه وشعبه العظيم .  
هذا الأمل الذي يحقق بين سطور هذه القطع المسرحية ، أملٌ يحسه  
الجميع ، ويتمنى تحقيقه الجميع .

إنه ملك لجميع الشعوب ..

وبهذه الروح ، يتغلغل هذا الشاعر الجزائري الى أعماقنا ، ويلقننا  
دروساً جديدة في الفن ، وفي الحياة .

هذه الروح هي التي تدفعني الى توقيع هذه المقدمة .. تحيةً مني  
للموهبة الكريمة ..

موهبة كاتب ياسين ..

إدوار غليسان



# البحث المأطوق

مسرحية ثورية



« . . . حيّ القَصَبَة ، هناك وراء الخرائب الرومانية ، في أقصى الشارع يجلس أحد الباعة القرفصاء ، أمام عربته الفارغة . زقاق مسدود من أحد طرفيه . . يُفْتَح من الطرف الآخر على الشارع ، مؤلفاً معه زاوية قائمة .

كومة من الجُثث تغطي واجهة الجدار . . . أذرع ، ورؤوس تتحرك حركات يائسة .

يصل بعض الجرحى ليموتوا في الشارع . يُلْقَى ضوءٌ على الجُثث التي يصدر عنها أولاً أنين خافت ، لا يلبث أن يتجسد شيئاً فشيئاً . . ويصبح صوتاً متميزاً هو صوت الأخضر الجريح . »

الأخضر : هنا شارع الوَندال . إنه شارع في مدينة الجزائر ، او قسطنطينة . في شطيف ، او غلمة ، في تونس ، او الدار البيضاء - لافرق - .

آه . . ان الفسحة لتضيق عن إظهار شارع الشحاذين ، والمقعدين بجميع أبعاده ، وزوايا رؤيته !

لتضيق عن سماع نداءات العذارى المسرغيات (١) . . . لتضيق عن السير خلف توابيت الأطفال . . عن استيعاب همهمات المحرّضين ، تلك الهمهمات المقتضبة التي تختلط بموسيقى المنازل المغلقة .

(١) السرغمة : المعنى في النوم .

هنا وُلدت .. هنا مازلت أزحف لأتعلم الوقوف على قدمي ..  
حاملًا نفس جرح «الصرّة» الذي فات زمن خياطته منذ أمد بعيد .

إنني أعود الى النبع الدامي .. الى أمنا المستعصية على  
الفساد .. الى المادة النقية التي لا شائبة فيها ، فهي حيناً تولد  
الدم والقوة ، وهي تتحجر أحياناً في احتراق الشمس الذي  
يحملني الى المدينة المضيئة في حضان الليل المنعش .

أنا الرجل القليل لغير ما سبب واضح . وسأبقى كذلك  
مادام موتي لم يُعْطِرَ أية ثمرة .

كحبة قمح صُلْبَة سقطت تحت ضَرَبَات المنجل ، لتتموج  
الى الأعلى ، وتستعد من جديد لتلقّي الضربة التالية على البيدر .  
إنها تضم الجسد المسحوق الى الشعور بالقوة التي تسحقه في انتصار  
شامل حيث تعلم الضحية جلاؤها استخدام الأسلحة ..  
وحيث لا يعرف الجلاذ أنه هو موضوع التعذيب .

إن الضحية لتموت .. وهي تجهل أن المادة ترقد منيعة  
في الدم الذي يجف ، والشمس التي تشرب .

هنا شارع الوَندال ، شارع الأشباح ، شارع المجاهدين ..  
هنا شارع قطع الصبية المحتونين ، والعرائس اللواتي تزوجن  
منذ أيام .. هنا شارعنا .

لأول مرة أشعر به يخفق كالشريات الوحيد في ارتفاع  
الضغط ، حيث أستطيع أن أفظ الروح فيه ، دون أن أفقدها .  
لم أعد جسماً ..

إني الآن شارع . .

ان مدفعاً سيكون ضرورياً لهم بعد اليوم إذا أرادوا قتلي .  
وإذا ما قتلني المدفع ، فسأبقى أيضاً هنا . . كشعاع كوكب  
يمجد الحرائب ، ولن تستطيع أية قذيفة أن تصيب مأواي  
بعد الآن . . إلا إذا ترك أحد الأطفال المبكرين في النضج  
جاذبية الأرض ليتبخر معي في شذى نجمة ، وسط موكب من  
مواكبنا الفريدة، حيث لا ينظر أحد إلى الموت إلا كلعبة مسلية .

هنا زقاق « نجمة » . . نجمتي . .

لأنها الشريان الوحيد الذي أريد أن الفظ روحي فيه .  
لأنه زقاق يسوده الظلام الدائم . . زقاق تفقد منازلها بياضها  
كالدّم ، بعنف كعنف الذرة على وشك الانفجار .

« صمت . . ثم يعود صوت الأخصر إلى الكلام . . »

هنا في الظل ، تتمدد الجثث التي لا يريد رجال الشرطة رؤيتها . .  
لقد تنقلَ الظل على شعاع النهار الوحيد ، ومكنت كومة  
الجثث على قيد الحياة ، تطوف بها موجة عارمة من الدم ،  
كنتين مصعوق يلملم قواه ساعة الاحتضار ، غير عالم بعد  
ما إذا كانت النار ستأتي على رفاقه كلها أم على إحدى القشور  
الحية التي يتألق بها عرينه .

هكذا تمت حياة الجماهير أمام سرير موتها بالذات ، في عملية  
الإبادة الرهيبة ، العملية التي تزودها بالسلاح ، وتفتح لها  
طريق الخلاص .



وفيا أنا صريع في زقاتي ، في مسقط راسي ، يعود الى  
فمي طعم قديم .

ولكنه لم يعد طعمَ المرأة التي وهبتي الحياة .. ولا طعم  
تلك العشيقة التي احتفظ بعضها .

إنه مَدَّاقُ كل الأمهات .. وكل الزوجات اللواتي أشعر  
بعناقهن ، يرفع جسدي بعيداً عني ، بحيث لا يبقى مني إلا  
صوتي فقط .. صوت الرجل ، ليخطب خطاب جمع المذكر .  
إني أهتف باسمهم جميعاً .. إني لأقول : نحن . وأغوص في  
أعماق الارض ، لأبعث الحياة في الجسد الذي نخصي ،  
وسيكروني لي الى الأبد .

وفي انتظار البعث ، يجب عليّ - أنا الاخضر القليل - لكي  
أُنشَرَ من وراء القبر ، وأقوم برثاء نفسي ، يجب عليّ أن  
أجمع فيّ الى مدّ الرجولة جزراً الجماعة لكي تستطيع جاذبية  
القمر أن تجعلني أحلق فوق قبوري في الأعالي بمتداً الى أبعد مدى ..  
هنا أبداً بإحصاء نفسي .. لم أعد انتظر النهاية ..

نحن مَوْتَى .

إنها جملة لا تُصدّق ...

لقد متنا قَتلاً ...

سيأتي رجال الشرطة لالتقاطنا .. أما الآن ، فانهم  
يتجاهلون وجودنا .. إنهم لا يجروون على اجتياز الظل ،  
حيث تتجمع أكداً من القتلى ، وحيث لا تستطيع قوة  
أية قوة أن تفرقنا بعد الآن ..

نحن موتى .. لقد أبادونا دون أن تشعر المدينة بنا .  
كان أول من شاهدنا امرأة عجوز تجر أطفالها وراءها .

يبدو أنها أثارت بعض الرجال الأشداء ، فإذا هم يتغلغلون بيننا  
بغثة مسلحين بالمعاول والعصي ، يريدون دفننا بالقوة .

لقد اقتربوا منا بنحى الذئب .. رافعين أسلحتهم فوق رؤوسهم .  
كان سكان الحي يراقبونهم من أعماق مساكنهم المظفأة ، يتوزعهم  
القلق والرعب لمراى الأشباح المنكبة على الجثث .  
لقد ارتكبت مذبحة بشعة ..

وقبع الأهالي سجناء دورهم طوال الليل .. لم ترقد لهم  
عين حتى انبلاج الصباح .. الصباح الذي يوقظني الآن .  
كأنما كانوا يتوقعون أن يذبحوا هم أيضاً .. لذلك راحوا  
يتهاون للمذبحة منطوين على أنفسهم ، في عزلة خانقة .

ثم توقفت الأشباح ذاتها .. عن الغدو والرواح .. وأخلى آخر  
الهررة المكان .. أما المارة الذين أصبح مرورهم نادراً فقد كانوا  
يضطربون من حشرجاتنا ، ويتوقفون لحظة عند ساحة الاستباك .  
ولم تمر دورية واحدة لتعكر تأملات المارة الخاطفة .

إن هؤلاء المارة يحسون الآن إحساساً جديداً تجاه المناضلين  
الغامضين الذين ما يزال موجههم يهدر تحت أقدامهم ، في هذا  
الشارع الذي كانوا يرونه دائماً معتماً .

في هذا الشارع حيث انبثق فجأة مجد المذبحة الرهيبية ، ليفتح  
الزقاق المسدود على جولات قادمة .

« نجمة في خمارها .. تغادر غرفتها وتمضي في اتجاه الزقاق .. تمزق  
خمارها وثوبها .. وخدها .. وهي تولول وتنتحب .. »

أنظروا إلى الصدر الأعمى  
 بعيداً عن الحبيب المفقوم  
 إنه لن ينضج أبداً . .  
 هذا الثدي الذي اسودَّ من طول الفراق .  
 لم يعد هناك فم يعرف كيف يثيره حتى الزبد . .  
 الأخضر يرقد هناك . .  
 مع آخرين سواي . .  
 لقد حذرتموني . .  
 كنت قد حملت بازين الرصاص .  
 ولكن كان عليه أن يعود عند الغروب  
 كان عليّ أن أخفي عنه شيئين  
 دموعي ، ومديته . .  
 وها أنذا الآن قد بقيتُ وحدي  
 وحدي . . نذراً للظلمة الموحشة  
 أنا الأرملة التي لم يُسَلِّبْ بهاؤها قط  
 أنا الزهرة العمياء  
 التي تبحث عن رجلها المختار  
 رجلها الذي يحوم حول تويجها  
 رجلها الذي اختطفه القربان  
 قربانٌ أحرقت فيه الجثث كقربة النمل .  
 هكذا هجرني الأخضر . . .

✓ ذلك النملةُ الذِّكْرُ . . .

لقد مرَّ بشذى فراشي المتكبر

ليسقطَ في هذه الكومة من الجُثِّ المجهولة . . .

حسن : منذ غادرنا الأخضر . . نحن هنا بدون أخبار . لم تتحرك

نجمة طوالَ النهار . . وهاهي ذي تنطلق الآن صامتة تحت

ستار الليل .

نعم . . هذا شبحها ، الذي يبتعد متمسحاً بالجدران . .

إنني لم أسمعها تخرج . .

مصطفى : « ينفض فجأة من غفوته . . » نجمة ! لا يجب أن ندعها تذهب .

ناديها . لا تنس أن الأخضر تركها هنا . . ومعنى ذلك

أنها ستكون في حمايتنا . . ولو لم يخطر بباله مثل هذا قط .

أنظر إليها . . وهي تتخطى الأموات . لم تستطع

الدشة ولا الرعب ، أن يُثقلها مشيتها .

هاهي ذي تتوقف أمام بوابة الموت . إن خمارها يتطاير

في الليل ، وترتفع أطرافه ، حتى ليظنه المرء مركباً جانحاً

في عرض البحر ، ليكشف لنا الأفق البعيد .

الحقُّ بها حالاً . قد يغمى عليها بين اللحظة والأخرى . .

إن ابرع لفتات الغزاة النافرة ليست في اغلب الأحيان الاوقفة على

مرمى البندقية

« يخرج حسن متسللاً للقاء الشبح . وبعد لحظة مظلمة على

المسرح تدخل نجمة هائجة بمزقة الخمار يتبعها من بعيد حسن .

تجلس نجمة على أحد المقاعد . . »

طاهر : « بضحكة مغتصبة » قهوتك ما تزال ساخنة .. ولكن قولي  
بربك أين كنت تودين الذهاب ؟ عند أقربائك ؟ .

مصطفى : دعها تشرب قهوتها . ليس لنجمة أسرة . « الى نجمة » ليس لك ،  
بكل بساطة ، إلا الانتظار . انك تعرفين الأخضر خيراً  
بما نعرفه .. .

طاهر : « معاوداً الكرة » لا يترك الانسان أسرته في سبيل مجنون  
كالأخضر .

حسن : « وقد عيل صبره » اعلم جيداً أيها « الجيفة » . لو لم يكن  
رفيقنا غائباً لما فتحنا لك باب دارنا قط . اننا لا نتسامح معك  
احتراماً لشرك الأبيض .

طاهر : الأخضر .. الأخضر .. اني لا أسمع غير هذا الاسم .. أليس  
الأخضر ابني قبل كل شيء ! .

حسن : إنه ابن أمه .. اوضح لك ذلك .. لماذا تريد أن تثير  
هنا موضوع عمك ؟ . ما أنت إلا زنبور ، عجوز ، مهذار .  
« صمت .. ثم تبدأ نجمة نجوى خافتة . وهي تدني  
الفنجان من فمها .. وكأنها تطوي نفسها على كلماتها .. »

نجمة : لم أسمع جواباً على نداءاتي إلا وقطع خطوات جندي وعبثاً  
أتيه في الأماكن المحرمة ، حيث يجر المرء نفسه دين أن  
يتمكن من الانتقام ، هذه كالوحوش المسمرة الى الأرض  
بجزمة لا يمكن مهاجمتها ، هذه الجزمة التي يلفسها وجودها  
كوعد بالمعركة .. المعركة التي لا بد من خوضها .. المعركة



المحتومة للانتقام الذي نَعِدُّهُ دون كلمة .. دون سلاح ..  
ولكن لنا على الأقل إيماناً باننا سنَقْهَرُ ولكن بكبرياءٍ من  
لا يُقْهَرُ أبداً ..

وما دام الصديق الوحيد قد هلك .. فاني سانتظره  
الآن أكثر من أي وقت مضى ، سأدوس بقدمي الترابَ  
والدم ، كعجَلَةٍ مهرولة إلى المسلِّخِ بجثاً عن شَبَهٍ لمن  
فَقَدْتُ .

ما أكثر الوجوه المعفّرة بجانب قدمي ..! ما أكثر  
الأشباح المبعثرة التي تلاحقني .. ولكني لا أرى أي أثر  
للأخضر ..

مصطفى : كثيراً ما يحتفظ الأخضر بالصمت عند ما يُنادى .

طاهر : أما أنا .. فسأكون قد هدرت قواي جرياً كالبائس وراء  
هذا اللعين .. هذا الولد الذي تبنيته . ورحم تعفوني على  
محبه ، أنا الأب الوحيد الذي عرفه هذا الشقي منذ جاء الى  
الدنيا حتى اللحظة التي أدرتم فيها رأسه بأفكاركم الجديدة التي  
لا أدري من أين أتيتم بها ..

لقد فقد الأخضر الآن .. بعد أن وقع تحت سيطرة  
رفاق لا يعرف أحياناً أسماءهم . لم يفقد بالنسبة لي ، لأبيه  
فحسب ، بل فقد بالنسبة لأمه التي تركها منذ صغره . .  
عندما هجر المدرسة . في ذلك اليوم الذي قررت فيه أن  
تهزأوا برجال الشرطة ، وأن ترفعوا راياتكم غير المفهومة .  
ومنذ ذلك الحين . . أصبح هذا العمل ديدنكم . لم

يعد رجال الشرطة يكفون . . لقد أصبحوا يعيشون كم  
الآن . بالجنود ، والنتيجة ؟ ماهي النتيجة ؟ جثث الشباب .  
هذه الجثث المكدسة على قارعة الطريق . هؤلاء أيضاً هم من  
« الرفاق » الذين من أجلهم تركتم كل شيء . . الكتب  
المدرسية وأدوات العمل والبيوت ، والاسر ، لتعيدوا  
حشودكم ومغامراتكم أبداً بانتظار أن يبعث بكم رجال  
الشرطة والجيش الواحد تلو الآخر الى مصيركم المعلوم . . الى  
كومة الجثث المجهولة الأسماء . . الجثث التي لا تقدرين حتى  
على مواراتها التراب . . في الوقت الذي يبقى فيه رفاقكم  
- وربما كان الأخضر من بينهم - مطروحين تحت سمعكم  
وبصركم في ذات الشارع الذي كانوا يؤمونه لحضور اجتماعاتكم .

مصطفى : لقد ولدنا في هذا الشارع كنا . وليست الشرطة هي التي  
ستخرجنا منه بالقوة . أما الجثث التي تشير اليها فقد طالما  
شاهد الزقاق جثثاً اخرى غيرها . أنت نفسك . أيها الشيخ  
المسكين . سيشاهد الزقاق مرور نعشك من هنا . . وسنمر  
جميعاً من هذا الطريق .

ليس عدد الجثث هو الذي يتقل على شارعنا . . أنت  
ما يتقل عليه هو موت الجبناء في عزلتهم وانطوائهم ، موت  
المتخوفين المضطربين الذين هم على ساكتك . .

أنتم أيها الآباء المتقاعسون المتخلفون . الذين تخونون  
الاجداد . . أنتم تظنون أنكم تؤمنون آخر أيامكم بارسالنا  
الى « ورشات العمل » . . الى المدارس التي يطردها

منها باستمرار أولئك الذين استطاعوا أن يجعلوا من نيركم ،  
من عبوديتكم شيئاً عزيزاً على قلوبكم ..

لأنكم تُعجَبُونَ بالقوة ، بمظاهر الأبهة ، بأسلحة المرتقة  
والمأجورين التي انتصرت على أجدادنا وأجدادكم . . لم يعد  
للنضال أي معنى في نظركم . فماذا يعني كل ذلك ؟ هل يعني  
إلا أن نفوسكم الخائفة قد قادتكم إلى عار الانسحاق الذي  
تقبلونه بغبطة ؟ لقد قادتكم إلى أن تغذوا أحلام العبودية  
حتى على اكتاف أبنائكم . . تحذون بذلك حذو الغاصبين ،  
للمدلسين على رقابكم .. هم أيضاً يظنون أنهم يجنونكم بسلامة  
طوية . . « إن الحالة دائماً سليمة الطوية . » ما داموا  
يعيشون على كدكم ويشركونكم في خزيهم . وهم يحملون  
الشعور بأنهم ليسوا إلا آباء موجّهين . . يا للآباء  
الموجّهين !

ولكن . . ثقوا بأنكم ستكونون آخر المهدوعين . إن  
أبناءكم ، على الرغم منكم ، قد شبوا في الشارع . . لم يكن  
الوقت كافياً لترويضهم على النير . منهم يرونكم تنشقون (١)  
بسرعة حاملين معكم أحلام الهدوء والاستكانة . .  
لن نعمل بعد اليوم « لأواخر أيامكم » . لن نعمل  
لأواخر أيام الخدم ، والعييد . .

طاهر : في بلد الشقاء هذا . . تسيل الدماء كل عشر سنوات . . لقد  
رأيت كثيراً من الصية الاغرار المشتعلين حماسةً مثلكم .

(١) ثققت الدابة : هلكت .

يركضون دائماً نحو الانكسار. ألاّ خبروني ماذا استطعتم أن  
تصنعوا أنتم وأعلامكم (١) أمام المدافع الرشاشة؟ جميع  
الانتفاضات تبدأ بنفس السرعة التي يبدأ بها عويل الأطفال .  
تدمر بيوتنا بالمدافع ، ويقبل رجال الجيش والجيش المحلي  
يعزّزون الشرطة . . منهم يجلدونكم ، يُهينونكم . . منهم  
يسقونكم إلى العمل بالقوة . . منهم يطلقون النيران على مواكبكم  
العينية . . وكل ذلك ينعكس بلاؤه على أبرياء . . هل  
يستطيع أطفال كاتب المحكمة التسعة الاعتماد عليكم؟ الأطفال  
التسعة الذين أُحرقوا والدم حياً بعد أن 'رُش' جسمه بالبنزين ،  
لماذا؟ لأن الغبي احتفظ ببعض النسخ من منشوراتكم .

حسن : يجيئ إلى أنك تبتهج بتوجيه هذه الحملة إلينا . .

مصطفى : دع الغراب ينعب ، فليس هو ما يقلقني . . ولكن . . قل  
لي يا حسن . . أتذكر ذلك الشاب الذي أداته المحكمة  
العسكرية بتهمة توجيه نظرة مهينة إلى موظف « منهم » أثناء  
قيامه بالوظيفة . . ؟

حسن : وكيف لا أذكر؟ ألم يكن في خيلتنا؟ لقد قال لنا بعد  
هربه من السجن : إذا كان الانتقام مستحيلاً . . فلماذا يبقى  
الإنسان في هذا البلد؟ . .

طاهر : وهكذا ترك معظمكم هذا البلد ، وذهبوا إلى فرنسا . لقد  
أكلتم على مائدة أعدائكم . لقد تكلمتم لغتهم ، وارتديتم

(١) إشارة إلى أن المظاهرة الكبرى التي انطلقت يوم ٨ أيار ١٩٤٥ لم تكن تحمل إلا  
أعلام الاستقلال .

نفس البزّة التي كانوا يتصيدونكم بالرصاص من تحتها ..  
أما أنا .. فقد كنت أشرب واحتفل ، بالنساء في الأعياد ،  
ولكنني كنت أبقى في بلدي .. لهذا لم اكن في يوم من  
الأيام جندياً ، ولا عاملاً في معاملهم الشهيرة هناك .. لاني  
أستطيع بدوري أن أتّهمكم بقلّة الاخلاص .. إن لم أفل  
بالحيانة . لقد عاد الأخضر من باريس منذ سنتين ، ولكنه  
لم يأت لزيارتنا مرة واحدة بعد عودته . إن أمه المسكينة  
لا تغادر النافذة ترقب الطريق طوال اليوم ، عساها تراه ماراً  
في الطريق ..

لقد فقدتُ شهية الطعام والشراب من تصرفاته ..

حسن : الشراب على الأخص .. يبدو أن رائحة الخمر قد أصبحت تثير  
فيك القرف ..

طاهر : منذ ابتدأت بممارسة الصلاة .. لقد أخذت الفكرة عن أحد  
التجار الطيبين .. انكم لا تستطيعون ان تتصوروا أي شعور  
يخامر النفس حين يصعد الانسان الى المئذنة بلباس بيضاء  
وجسم نقي .

« يدخل رسول من الحزب » .

الرسول : السلام عليكم ..

« يجلس ويقدم السجائر » .

طاهر : ما أخبارك ؟ هل من جديد ؟

الرسول : « دون ان يلاحظ إشارة التحذير من مصطفى » عليكم بالهدوء

الآن .. إنهم يريدون أن يتعرفوا مدى قوتنا ..



بأثارة استباكات جديدة بيننا وبينهم .

حسن : سيقولون بأن أوروبيين آمنين قد هوجموا .. ألحجة ذاتها ..  
الرسول : إن أهم الأماكن التي نلتقي فيها قد كُشِفَتْ ، وهي الآن  
تحت المراقبة الدقيقة . لذلك لم يبق لنا إلا أن نلتزم بيوتنا ..  
وننتظر .. على أن لا نتيح لهم أية فرصة لاقتطافنا وإذا ما  
فقد جميع المسؤولين كالأخضر وسواه .. فكأن الحزب قد  
جُرِّتْ عنقه .

حسن : « مشيراً الى نجمة المنهارة » لم نقرر بعد وضع الأخضر في  
قائمة المفقودين .

الرسول : عليكم أنتم ان تبحثوا عنه وتجذوه ..  
مصطفى : كيف يتسنى لنا البحث عن الأخضر ما دامت الأوامر تقضي  
بالتزام بيوتنا ؟ نحن لسنا متأكدين من وجوده بين الضحايا ..  
ألا تعتقد أن رجال الشرطة قد تركوا الجثث في مكانها لغرض  
واحد ، هو إيقاعنا في الفخ !..

الرسول : « يتوك كرسيه » ذلك ممكن . « يخرج » .

نجمة : « تقف فجأة » سأعود لرؤيتكم .

طاهر : إنها مجنونة .

حسن : أسكت .

طاهر : لماذا تخرج ؟ لكل ما قدر له .

مصطفى : أتدعها تفعل ما تشاء ؟ كان عليك أن ترافقها ..

« تخرج نجمة ، يتبعها طاهر على مضض »

حسن : تقول إنها كانت متشاجرة مع الأخضر صباح المظاهرة ..؟



ما أغرب ذلك !.. أنا على يقين أنها تظنه ميتاً درنما ضرورة ،  
لسبب بسيط هو انه لم يعد يريد مقابلتها . إني أتساءل ،  
عند ما خرجت للمرة الأولى منذ لحظات ، أتساءل عما إذا لم  
تكن قد رأت الأخضر صريعاً في الزقاق .. ألا ترى معي  
أنها تتصنع الهدوء لئلا تكشف عن ألها ؟

مصطفى : ليس هناك شيء أشد التصاقاً بالمرأة من حدادها .

حسن : يا لباسها ! انك توافق معي على أنها تأنف أن تجعله يختلط  
بأسنا ..

مصطفى : إذا افترضنا أننا نجعل ما رآته بجلاءٍ مثلنا .. فإنها تظن أنها  
تشقق علينا .

حسن : ألها تداري حزنها الذي سنوئ تحت حمله إذا ما تكلمنا  
بصراحة .. ولكن كيف تركها الأخضر ؟..

مصطفى : لقد أمضينا الليل كله نعد المظاهرة . وعند الفجر راح  
الأخضر يتحرك بسرعة . كان يريد اغلاق الباب . وصرف  
المجاهدين . . وأخذ العمل كله على عاتقه . وأخيراً . . لم  
يبق إلا نحن . . نحن الثلاثة أنا ونجمة والأخضر . كنا  
نغالب النعاس . كأنما كانت نفوسنا تحدثنا بأن هذه المظاهرة  
لن تنتهي كسابقاتها . كانت نجمة منزوية في ناحية .. ولكن  
لم يكن يبدو عليها أنها عابسة او مقطبة . كنت أنا وحدي  
اقترب منها أحياناً ، واتحدث إليها . وكان الأخضر قد بدأ  
يكتب . وأخيراً نهضت نجمة لتفتح الباب . وبسرعة كسرعة  
قبضة من النحل ، كانت الشمس قد هجمت فوق رؤوسنا ،

وكننا نرتعش تحت لدعاتها الخفيفة ، ونحن لم نزل منهكين  
من غناء الليل . كنا انا ونجمة قد اقتربنا من الباب لاستنشاق  
نسائم الربيع . لقد أخذنا بدفء الفجر الذي فاجأنا بسحره ،  
ولم نجرؤ على ان نعكر ذلك السحر او نقطع علينا متعته .  
أعادنا الى المكان صوت الاخضر قائلاً : لا داعي للحزن الآن .  
كانت النافذة مفتوحة ، وكانت نجمة تنهد وهي مغمورة  
بالضوء ورائحة الصباح .

لقد همس لها ايضاً : « لا مكان للحقد هنا .. » وابتعد ،  
وهو يوصيني بوجوب تأمين المناوبة .

حينئذ فقط فهمت انها قد تشاجرا . عرفت ذلك من  
الطريقة التي كانت تنظر بها اليه ، وهو يتوارى بعيداً عنا ،  
كانت نظرة حزينه قاسية .

« تخرج نجمة .. تشاهد الاخضر بين الجثث . لقد نهض  
من بينها بصعوبة .. ملابسه ووجهه . كلها ملطخة بالدماء .  
يترنح في الشارع كالمشده . تبقى نجمة صامته .. وبصرها  
عالق بهذا المشهد المفاجيء دون ان تتمكن من التقدم خطوة  
واحدة . »

الأخضر : ها أنذا أرى نفسي من جديد في بلدتنا . انها تأخذ شكلها  
من جديد . اني ما أزال أحرك اعضاءي المحطمة ، وينتهي  
شارع الوندال في عيني ، كما ينهار الليل تحت عاصفة هبت  
قبل دقيقة محددة ، وينطوي في قلب الأحجار ، في صدور  
الحشرات التي ينبشها الريح والصقيع من أوكارها حتى الصباح .

حينئذٍ ، يُخَيَّلُ اليَّ أن جداراً هائلاً قد ارتفع بيني وبين  
المدينة . إني أود ان اخرج من هذا الموت الدائم ، ومن  
هذه المدينة الميتة التي أراني مدفوناً فيها .

« طلقات نارية تأتي من بعيد ، تبدو كأنها غير حقيقية ..

يردها الصدى . »

على شجرة مُزْعَزَعَةٌ ، تناضل اسرتي في سبيل البقاء ،  
اسرتي الغنية بالدم وبالجدور ، قبيلتي ذات المزار المهجور الذي  
عاش قبلي في عَبَقِ البَنِ المحمَّصِ .. البَنِ الذي لم يسبق  
لجيراننا ان أعطوا شيئاً منه لزهرة . زهرة أمي الحاضنة  
الرؤوم التي لا اجرؤ على رؤيتها من جديد قبل تحريرها من  
رَبْقَةِ ذلك الرجل ذي السحنة الباهتة الذي تزوجها في غيبة  
ابي الحقيقي ، ابي الذي قضى في سيارة مع احدى البغايا ..  
هذا الأب الذي كانت ميتته الشنيعة احدى اللجج التي ابتلعت  
بقايا القبيلة . إنه الميت الذي لا يثير فيَّ أي شيء .. إنه  
لا يذكرني إلا بقسوة القدر .

ان حياته القصيرة قد تركتني متخلفاً بعيداً الى الوراء ،  
على طريق مقفر ، أشبه بسمكة ميتة وُلدت فاقدة الحس  
خارج أحشاء أمها ، سمكة رأت نفسها تولد من جديد ،  
حين افرغها (١) ضخم في عملية هضم كالحة ، فاذا هي تتخطى  
هيكله المحتضّر بعد ان مَرَقَتْ من فكيه الواهين . هكذا  
فإن موتي يجتاز موتَ ابي السابق لأوانه ولم يبق لي إلا

(١) الفرش : نوع من سمك البحر الضخم .

ذلك الرجل الذي تبناني ، لكي يحوّل أُمي زهرة عن قبوري  
المقبل . لم يبق لي إلا الأصدقاء الذين تعود اليهم نجمة  
الجبية المنفية ، وها أنذا أصرع مرتين ، ولكني أنهض من  
جديد .. وحدي .. كالتأثيل المهشمة التي تبعها الزلازل الى  
الوجود باعثةً فيها الحياة عند ما تحرك العوالم وتهزها بسُعارٍ  
يَخْطَفُ الابصار ، تريد ان تطهره من هذا التدنيس  
الأعمى للزمن ، للموت ، للانحلال ذاته . الدنس الذي لن  
يستطيع تحرير أفكارنا الباقية منه إلا تلك اللحظة الحاسمة  
التي لا دواء لها ولا رجعة . تلك التي تحتل مكانها دائماً في  
المراكز الامامية من جبهة القدر .

يا للقرش الفاني الذي يتضاءل ، ويخفف من وثباته أمام  
السباحين المذهولين ، هكذا تبدو روح الأجداد متخلقةً على  
تاريخي ، الآن حين أرقد في الشارع كالحجارة ، يدوسني  
الزمن بأقدامه ، وهو يعيرني آخر شكل من أشكاله ، دون  
أن يستطيع التغير معي ، او حلّ رموز قناعي .. الآن  
حين يتنازع الزمن مع الموت على ذكري الكامن بعيداً عنهم  
لن يكون لي أي تقويم للزمن بعد اليوم ، ولن يعرف  
دمي الذي أريق باسراف أي حساب ولا قاعدة في تدفقه .

### « طلقات نارية .. »

لم نُنْفَ حتى الآن من الحياة .. كلُّ ما هناك أننا غلبنا  
فقط في أرض المعركة حيث أضحف وحدي على ذقون القتلة ،  
وأنا ما بين الحياة والموت .

لقد قضى الربيعُ بأن أبقى كالأرض البور ، تلفني رائحة  
العوسج المهشم ، أتذوقها كما يتذوق القنفذ المتراجع الى  
جحره ألم الرصاصات الطائشة ، مندبياً التراب في بطءٍ  
بجسرجاته الاخيرة .. دون ان يلفظ أنفاسه .

### « طلقات نارية .. »

ها أنذا وحيد ، وفي ظلي تحوم النداءات الحطرة لمدينتنا  
المهجورة عن بطولة ، والمغزوة بوجردنا ، المدينة الدائمة الشباب ،  
المعيدة على حافة الخرائب .

« طلقات نارية .. طلقات نارية جماعية مديدة ، تتخللها  
فترات من الصمت ، تترك المجال للأخضر ليتوقف قليلاً عن  
هدْيانه ، ثم ينتصب بملء قامته ، ليلفظ ببطء المقطع التالي  
كلمةً كلمةً .. عائداً بذلك الى وعيه .. »

لاني لأسمعُ هديرَ الدم يبشر بالحياة ، أسمع من جديد  
صرخات أمي وهي تعاني آلام المخاض العظيم ؛ أحس  
مضارب قبيلتي تعيش تحت لفحات السموم التي تتغلغل في  
عروقي ، ثم ارتفع في عمّة الغسق نحو الأجداد .. أجدادي  
الذين تهبز قاماتهم كأشجار الحور تحركت أوراقها ورقة  
ورقة ، وانتفضت إذ تدفق فيها نسغ الحياة الذي لا يقهر .

ويتابع الليل خطاه .. وتر أمام عيني مواكب فرسان  
النوميديين<sup>(١)</sup> يلاؤن الفضاء ، ويجددون عزمهم للمعركة

١ - نوميديا : اسم الدولة الجزائرية في عهد الرومان . يشير بذلك الى عراقية  
الجزائر في كفاحها ضد الاستعمار منذ اقدم العصور .



الفاصلة ، حين تدق ساعة المغرب مؤذنة بالحلّاص .

« طلقات نارية .. وقع حوافر فرس .. طلقات من جديد .. خطى أفراس .. تحبُّ .. يحيم بعدها السكون. »  
وأخيراً .. أراني أمر على ركاب الزمن ، حاملاً قلبي المحطم الذي يجمع شتات العصور بين جنيه ، وأعود -  
لائمياً هازلاً ، بل تصميماً واردة واعية - أعود الرجل المقاتل العنيف الذي مازال يدوس الأشباح .

« الأخضر ينظر الى ماحرله . تاركاً الفكرة المسيطرة عليه رويداً رويداً . ثم يتابع بشيء من السخرية . »  
كنوزي كلها بأثقالها قد أصبحت في قبضة الأيدي المتكالبة التي تشدني الى المقبرة ، ومدينتنا المنهارة ليس فيها  
إلا الفرحة بالحياة مع الجدران الصم .  
« الأخضر يترنح على حافة الجنون ، في ضحكة

عصية .. »

نجمة : « تصرخ وهي تعدّ نحوه » أخضر !

« يوشك الأخضر على السقوط ، فتمسك به نجمة ،  
وتساعده على الاستناد الى العربة . البائع يغط في نوم عميق  
يعود الأخضر الى التخبط في خواطره من جديد .. »

الأخضر : إن الرجال الذين تلقفهم الموت ، وتركوا لوحشته الرهيبة ،  
يضعون عليّ ايديهم المأخوذة في أطواق ضخمة آتية  
على ما أرى من اجساد يرقبها البلى .

نجمة : لا أريد أن أسمع ..



الأخضر : نحن في هذه المدينة التي لا يطيقها الغرباء لا نطرد أحداً . لقد  
آوينا الجميع .. ولكن كل غازٍ من الغزاة ، كائناً من كان ،  
يستطيع أن يطعننا بنخجره مرة أخرى ، وأن يخصب بدوره  
قبورنا بفرضه لغته الغريبة على أيتامنا وهو يقيم بهديء بين أهله ..  
كل ذلك ، دون أن يحسب أي حساب لاحتجاجاتنا المتصاعدة  
من وراء القبور .

لا يستطيع أحد أن يسمعنا لأننا لا نصيح ، اننا لم  
ننقطع عن اعلان غضبتنا . لم ننقطع عن النداء ، نداء  
أرضنا السلبية التي اغتصبها ، وجعلوا منها مقبرة ومنفى دائماً  
لنا .. أليس من نهاية لهذه الخدعة ؟ .

نجمة : « وهي تمد يدها لتعلق فمه » إني لا أسمع . . لا أسمع  
ما تقول . .

الأخضر : « يجاهد ليعود إلى ما بين الجثث . » لقد كتبتُ لي الحياة ،  
فدعيني أخفي بين جنبي ، أنا الروح التي قطعت آخر صلواتها  
بالموتى ، تلك الأدمغة التي تتمزق كأزهار تفتحت في غير  
أوانها على أرضها المحرمة عليها ..

آيتها الزهرة التي تضطرب وتتلوى على قيد خطوات من  
الريح المسفوح ، أنتِ يا زنبقة الأدمغة المظلمة التي اجتازتها  
أسراب النحل الرصاصية المدرمة في رؤوسنا ، القابعة في زوايا  
الجمرد ..

نجمة : لا أريد ان اسمع ..

الأخضر : اذهبي عني .. لنفترق دون ألم عن قلوبنا المسيخة . إن

الروح وحدها قادرةٌ على تخطي هذا العالم مهما قلتَ الكلمات  
التي يقولهـا الانسان وهو في الرّمق الأخير . اني أخلدُ  
للصمت .. اني أحس بكِ حارّةً على طرف لساني ، واضرب  
بجاذيفي بصمت ، لأصل اليك عندما ينحسر مدُّ البحر ، وفي  
غمرة التيار يتلقاني صدرك كصخرة بارزة من تحت الماء ،  
فيعوق انطلاقي ويصيبني بالشلل . اني أسبح بصعوبة بالغة ،  
أسبح بمركات مشلولة نحو المغارة التي ينتظرنني فيها النوم  
العميق . وها أنذا أجيء لافظ عندك رويحي ؛ لم يعد  
يستهويني الغرق . اني أفضل موهبة الكلام على النوم ، شريطة  
أن تكوني أنتِ سنّدي . ولكن شواطئ جسدك ليست  
إلاّ لججاً وصخوراً .. وها أنذا أرسبي على الشاطئ وكلي  
جراحٌ قاتلة .. يكفيني أن أرفع صوتي لأقع في الشراك  
الميت ..

نجمة : لقد ترقبتك في أعماق الأخاديد ، وعرفت ما هو أشد من  
صيد القنافذ في خبايا صدور المجرمين . وكذلك كنت دائماً  
تضيعني ..

الأخضر : نعم ، لقد قضيت أيامي في حفرة ، أترصد الذين لم يقعوا  
في جبالك ، كانوا يمشون على صدري ، وكنت تتجاهلين  
ذلك . كنت تهمهين كالقطة الراضية ساكنة عنهم ، وإذا  
ما هممت بالوقوف في وجههم فان عنادك كان يجرنني الى سقطات  
جديدة ، يستغلها ويفيد منها كل واحد من خصومي ليفرضوا  
أنفسهم عليّ في قفصي .

هكذا .. كان عليّ أن أساطركِ سيئاتك ، وأحمل  
عذابي مقهوراً ..

نجمة : انك تكذب ، ما هذا العذاب الذي تتكلم عنه ؟  
الأخضر : كان سوء تفاهمنا يهب خصومنا الجراة ، ويتيح لهم الفرص .  
كنت وحدي قادراً على تبديد جهلهم . كان الخصوم  
يتحركون ، كانوا يذرفون الدموع حيناً فوق حفرتي . ولم  
أكن أستطيع أن أدعهم وشأنهم ، كما لا أستطيع مداراتهم  
أنا الذي كنت ما أزال أحمل أثر مخلبك . ومع ذلك فإن  
صوتي يزيد الحمل ثقلًا ، والطين بلة . حتى اللعنات كانت  
تزيد في اعتبارك وتنقلب إلى أجداد لك ..

نجمة : « ذاهلةً .. تضيف بلهجة حازمة . » انها ليست إلا نوبة  
غيرة ..

الأخضر : ولكن لو كنت أبطلت هذا السحر ، إذاً لكانوا أذعنوا  
حين يروني أترك مضجعك الآسر ، وكانوا أثاروني ضدك ،  
ولبرزت أمامي حينئذ قمة العذاب . ولكنني لم أكن أريد  
بلوغ قمتك لعلمي بأن الفراغ يكمن في طرفها الآخر .

نجمة : انك لم تشأ أن تسيطر علي ، أنت تغزوني غزواً كاملاً في  
يوم من الأيام . أتذكرُ ذلك الصباح الذي تركتني فيه ؟  
لقد ودعتني بالنهكات والسخرية .

الأخضر : كان الجنود مستنفرين في ثكناتهم ذلك الصباح ، على أتم  
استعداد للتدخل عند أول إشارة . وكان قادة حركتنا يجهلون  
ذلك . كل ما كنت أعرفه هو أن رجال الشرطة لا بد أن

يداهموا المكان في الوقت المناسب . كنت في انتظار رجالنا المكافين بتأمين النظام حين رأيت طلائعنا تطوق ؛ ان الشعب يجيء دائماً الى شارع الوزندال . وكان ذلك انه وقت التدفق الى الشارع جماعات جماعات .

كان رجال الشرطة قد اتخذوا أماكنهم منذ الليلة السابقة ، وتمركزوا في عدة منازل من الشارع . كنا جميعاً منهوكي القوى ، وانهمر وابل من الرصاص الطائش من إحدى الشرفات ، وتدافع الجمهور وازدحم على بعضه ، كان كل شيء تصل إليه أيدينا يصلح للقذف ولكننا كنا من درن أية حماية . وأخيراً وصل الجنود ، وانهمرت زيرانهم علينا ، ووجدت نفسي ملقَى على الأرض ، وفي فمي مذاقٌ قديم . لم أكن أسمع ولا أعي شيئاً مما حولي ، ولكن عيني كانتا لا تزالان مفتحتين . وما هي إلا لحظات حتى أخذت الجماهير تترونح راقصة بنشوة الدم . لم احسرج ، او على الأقل لم أسمع حشرجاتي ، كما لم أسمع حشرجات الجرحى الآخرين من حولي . كنت أحس جسمي ثقيلًا كالرصاص ، وكانت الضوضاء تملأ المدينة . كان يبدو لي بكل بساطة أن الشعب كله بدأ يرقص . لم يكن الأمر محزنًا . فقد كانت معي بعض السجائر . لم أكن أرى بركة الدم التي كنت أرقد فيها . كان الجرحى صحواً جميلاً وكانت المظاهرة ما تزال مستمرة ، خيّل إليّ أن الجنود كانوا من عالم آخر .. وأما رجال الشرطة فقد نسيتهم تماماً .. ولكن عندما أخذت الجماهير

تسحب ، وبدأت الساحة تقفر ، عند ذلك فقط أحسست لأول مرة بجحوري .

« فترة صمت ، ظلمات ، يلوح شبحا نجمة والأخضر ، طلقات ، أوامر ، أنين ، زجرات الجماهير المنتشية بمذبحتها ، جلبة ، استباك ، ضوء . المسرح خالٍ إلا من البائع الذي يغفو أمام شجرة البرتقال . لقد هبط الليل . تبرز نجمة وحسن ومصطفى وهم يحاولون التسلل من منزل ، إلى منزل » مصطفى : لاجدوى من الذهاب أبعد من ذلك ؛ لن نعثر عليه . حسن : لقد اختفى أثناء الاستباك الثاني .

مصطفى : « بلهجة قاسية » كان علينا أن نغنى به ، وأن نجبسه بين جدران المنزل بدلاً من تركه في هذا المكان اللعين . نجمة : لم أتركه هنا . لقد قدته من ذراعه عندما سمعنا صوت الرصاص والصراخ . كان مستنداً إلى هذه الشجرة . لقد توصلت إليه أن يتبعني ، فلم يجب وسمعنا صوت مجموعة من الرجال المسلحين تمر بقربنا فأعدت التوسل من جديد ، صحت به أن يذهب إلى أي مكان يشاء إذا لم يكن راعباً في مرافقتي . ولكنه كان يهذي باستمرار محاولاً الوقوف على قدميه . وفي هذه اللحظة اندفعت الجماهير الهاربة من الزيران ، فاجتاحني في طريقها ، فوقعت على الأرض ثم نهضت وقعت من جديد . كان الرجال يتساقطون من حولي ، ويجرفونني في تيارهم كلما حاولت النهوض ، كأن إرادتهم الأخيرة لم تكن إلا الانسحاق على جسد امرأةٍ مجهولة .



مصطفى : « بلهجة أشد قسوة » نعرف ذلك جيداً . إن المرأة لتجد نفسها مركز الصراع حتى تحت النيران . وهكذا أضعت الأخضر ، وسيأتي يوم تضعين فيه رفاقه أيضاً إذا لم يكن قد حصل فعلاً .

حسن : « يريد تحويل غضبة مصطفى في اتجاه آخر . » هذا البائع لم يتوحد من هنا .. لا بد أنه رأى الأخضر .

« يقتربون من البائع ، يهزه حسن بعنف »

البائع : « منتفضاً » لعنة الله على الكافر الذي أيقظني . آه .. إني أعتذر . لقد حسبتكم من الجنود .

حسن : ألم تَرَ الأخضر ؟

البائع : كثيرون في بلدنا يحملون هذا الاسم ..

حسن : انه رفيق ، كل الناس يعرفونه هنا .

مصطفى : « يقترب هائجاً » ليس هذا وقت المزاح . قل لنا رأيت أم لا ؟

البائع : كلا .. لم أره ..

مصطفى : أحقاً ، أنك لاتعرف رجالنا . إنك قابع في الشارع طوال الوقت ، ثم تقول إنك لاتعرفه مع ذلك ؟

البائع : « خائفاً » إني لا أعرف إلا عملي ، وأطفالي .

مصطفى : وما عسى أن يكون عملك في هذا الشارع ! ألا تتكلم مع أحد !

البائع : آه ، يا إخواني .. إني بعيد عن السياسة . ماذا تجدي السياسة ؟



مصطفى : هناك من يفيدون من السياسة . . هناك من يفيدون من الشرطة أيضاً .

البائع : يا اخواني ، عندي أطفال سبعة . اني أجاهد طول يومي كي اكسب قوتي كما استطيع . أياكون مثل هذا محرماً علي ؛ أيجرم علي المرء أن يكسب لقمة عيشه ؟

مصطفى : أسمع . . أنت تعتمد على رجال الشرطة . انهم يسهلون لك كسب رزقك . . فماذا تقدم لهم مقابل ذلك ؟

حسن : سأقول لك ماذا تقدم لهم ؟ أتريد أن أتكلم ؟

البائع : « مذعوراً » أيها الاخوة ، عندي سبعة أطفال . إذا ما استطعت اشباعهم نموا و كبروا . . وأسهموا في تحرير الوطن .

مصطفى : أترى خلاص الوطن في أن نصبح مخبرين للشرطة ؟ يالها من طريقة للخلاص !

نجمة : دعوه . . انه شيخ عاجز .

مصطفى : انك تقوم إذاً بهنة الكلاب هذه وأنت مستلق على عربتك . . تغط في النوم .

« يجلس مصطفى القرفصاء بجانب البائع ، مضيقاً عليه

الحناق . . »

انك لاشك تحلم بالحاكم ، وما سينالك منه . أليس

كذلك ؟ إن لك لأحلاماً ملأى باللهاث كأحلام الكلاب .

البائع : « راكمأ » أعذروني ، أيها الرفاق ، لقد حسبتم أعداء .

كلنا عرضة للوقوع في الخطأ ، لقد كان صديقكم جريحاً .

حسن : « يقترّب من الناحية الأخرى » . والى أين التجأ ؟  
البائع : « مشيراً الى نجمة » لقد رآته هذه المرأة . لقد تحادثنا ملياً  
قرب عرّبتي ، دون أن يشعرا بوجودي قربها ثم وقع  
الاشتباك الثاني ، ودارت المعركة فلم أعد أرى شيئاً . أقسم  
لكم أنني لم أتردد في أن أجمع متاعي ، وأهرب على الفور .  
« ظلام ، صرّبات صنج مديدة ، يتلوها نور . »  
« القائد يثرثر مع ضابط آخر مشيراً الى خارطة لأفريقيا  
تبدو مرتسمة على الشاشة . »

القائد : انظر الى تاريخ الدولة النوميديّة . إنها ليست إلا شمال أفريقيا  
اليوم . مع الفارق البسيط هو أننا حللنا محل الرومان في  
مراكز القيادة . لم يكن من السهل في الماضي أن يُهزَم  
فرسان نوميديّة . إننا نملك اليوم الطيران ، وقد قسمت البلاد  
الى ثلاث دويلات ، ولكن الأرض مع ذلك هي الأرض .  
لن نستطيع اغراق سكانها بالرغم من أننا استطعنا أن نستقدم عدداً  
من المعمرين الأجانب يفوق أية نسبة وجدت حتى الآن في أية دولة  
افريقية . ففي مراکش وفي تونس كما هي الحال هنا ينقلب الرجال  
( أهل البلاد الأصليين ) ضدنا انهم يعودون الى الصراع ، بعد أن  
برزوا من خلال القرون السحيقة وهم يعضون الرمال ليعودوا من  
جديد ، اولئك النوميديين المهزومين الذين تكتلوا لملات  
جديدة ضاربة .

« ينتقل الضوء . يركز على الأخضر المغطى بالتراب  
والروض ، مواجهاً مارغريت . »

مارغريت: هل هاجمك أحد؟

الأخضر: من الصعب أن أقول ذلك.

مارغريت: لقد أوقفت فرامل السيارة وهي توشك أن تدوس جسدي كنت وحدي على المقود. إن لك حظاً هائلاً. لقد أوقفها في اللحظة المناسبة حين تحركت، ووصلت الى سمعي بعض الكلمات الفرنسية.

الأخضر: لقد أخطأت دون شك. فقد كان هناك جرحى آخرون.

مارغريت: لا. لا. أنا على يقين من ذلك. لقد كانت كلماتك غير واضحة، ولكنها كانت فرنسية بلا جدال..

الأخضر: «خجلاً» هذا كل ما أفدناه من المدرسة.

مارغريت: ماذا تقول؟

الأخضر: «مستدركاً» لاشيء!

مارغريت: لقد وجدت عناء كبيراً في نقلك؟ من حسن الحظ أنني

مرضة. لاني أحب العناية بالناس. ولكنها ليست مهنتي.

إن والدي لا يرغب في أن أعمل، محتجاً بأن راتبه يكفيننا

لقد كنت مع ذلك في باريس اقوم ببعض أعمال التمريض

أحياناً، ولكن العمل هنا يثير التقزز. واخيراً تمكنت أن

أوقف النزيف..

الأخضر: لاني أشعر بتحسن.

مارغريت: سأخبر والدي إذا شئت. بإمكانه أن يحضر سيارة إسعاف.

الأخضر: أعتقدين بأن والدك...

مارغريت : إنه ضابط .

« الأخضر ينتفض ، مارغريت تحديق اليه بانتباه ، قبل أن تعود

إلى الكلام بصوت منخفض . »

مارغريت : أنت غريب : لا .. أنت عربي .. إني أرى ذلك الآن عندما

أنظر اليك من كتب . إن ذلك الدم يسري فيك .

الأخضر : نعم إن ذلك الدم يجري في عروقي .

مارغريت : باللغرابة ! هؤلاء الآخرون .. إني لا أستطيع أن انظر اليهم ..

لأنهم قدرون .. يخيل إلي أنهم قمل .. أنك لا تشبههم .. تمدد

على سريري .

الأخضر : سأنام عند رفاقي .

مارغريت : سأتركك وحدك . تمدد على سريري .

« تخرج مارغريت من الغرفة ، وتدخل نجمة .. »

نجمة : عفوك ! إن رفاقك يبحثون عنك . لقد شوهدت تدخل

هذا المنزل .

الأخضر : أنت أيضاً تتلصصين علي ؟ أعبد أنا ، أم طفل صغير ؟

نجمة : لقد تبعتك طويلاً .. كلت قدمي من الجري وراءك ..

لست أنا التي ستحرسك .. لتحتفظ بك .. إنك ترقد أبداً

غارقاً في نظرتك ذاتها .. إذا كان يصح تسمية تلك العنكبوت

التي تركز على جبينك نظرة . إني أتبعك ، وانت تعيني ،

وتضربني ، عليّ تنقل روحك القاسية ، إني ارتدي ثياب

الحداد ، ولكنك لم تمت إلا بالنسبة لي .

الأخضر : لن يُفقد أبداً

✓ ذلك العاشق الذي تأتي نسمة جديدة

فتدفنه قبل أوانه ..

إني أقدم لنيرك الوحدة

وأستق أخاديدي لك

وتظلين الأرض المحرمة عليّ

ان غيابي سيجعل عزلتك مورقة .

نجمة : لقد زرعني دون عودة

في أعماق ضلوعي

وها أنت الآن تتبدد

أيتها السحابة المنبجسة التي وُعدتُ بمائها

الأخضر : كالكيس المقلوب على قفاه

يتصاعد . دخاني ، أنا الممتزج بك ..

واغرقك بطوفاني أيها الفم المغلّق بإحكام .

أنا المترع بسُحُبِك ذات الرائحة العنيفة .

كالكيس المقلوب على قفاه

يتصاعد دخاني أنا الممتزج بك .

أيتها الأرض الموطوءة .. أيتها الرفيقة غير المرتقبة ،

بقمحك الصلب الذي باغته رقدة طويلة ..

نجمة : أنا التي رأّت ضربات المنجل تحطّطك بعيداً عنها .

الأخضر : ولكنني سأخرج من الأهراء التي طُمِرتُ فيها .. ولن تعرفني

الحملة القديمة التي ستجتاحك ..



بعد أن طرحتِ طويلاً في زوايا النسيان .

بعد أن رقدَ عُرْيُكَ رقدة الشتاء

إني أجز روحِي إلى الموت الذي ينسى نفسه .

لتخلَعُ ثوبَ زفافها

تلك الساحرة التي يسمونها القَدَر . .

لترقصُ - وهي عذراء - حول النار حتى تستنفد قواها . .

لتحاولُ دون جدوى إخفاء انحطاطها السريع كسقوط الشلال

هناك . في أعماق المغاور ، مغاور الأعراس .

سيظل الحبُّ ، والموتُ ، والروح

صَرَخَاتِ ندم موجعة دفنها الأجداد

لتبقى عبرة لنا

أشبه بكارثة أشعلها الشقاء والحرمان من جديد ، في

مخيم العشاق البائسين ، الضائعين في الظلام ، الذين لن

يستطيعوا التعرف على بعضهم من جديد دون أن يحرقوا آخر

عبراتهم في نضال مرير

تشر فيه الروح المنكودة بكل وحشتها . .

« يدخل حسن ، ومصطفى . . »

مصطفى : « مشيراً إلى الأخضر » هاهو إنه ما زال حياً يثرثر . .

الأخضر : « انتظر . . »

« تدخل مارغريت فرعة من رؤية المجاهدين المائلين

أمامها . . »

نجمة : لا تخشي شيئاً . . إننا ذاهبون .

الأخضر : « متأثراً » لا . لا تفعلوا ذلك . ولنبق معاً .

« مشيراً إلى مارغريت » إنها من باريس . . .

نحن في بيتها . . . كما لو كنا قد اجتزنا البحر .

مارغريت : سأغلق الباب . . .

نجمة : « متألمة » لا تتعبى نفسك . . .

مصطفى : « بلهجة المذنب » لقد اتعبت نفسها فعلاً .

« خمسة مصابيح كاشفة تسكب أنوارها على المسرح .

ينصب المصباح الأول على وجه الأخضر المتورم فيظهره بجلاء .

وعلى ضوء المصباح الثاني تظهر مارغريت التي تحديق إلى الأخضر

بشغف ، ويبدو هذا الحب الجديد الذي تفتح دون أن

يشعر به الجريح . ويكشف المصباح الثالث عن التحدي

العاجز لنجمة التي تنظر نظرة مرة تذيب رقة غريمتها . يتذبذب

النور الرابع مع النظرة المزدوجة التي يوزعها مصطفى بين نجمة

والأخضر ، الأخضر الذي بدأ يميته ، ونجمة التي دفعته إلى

القتوط التام . ينطفئ المصباح الخامس الموجه أولاً إلى حسن

المنتحي جانباً ، وحيداً ، وشريكا للمجموعة في آن واحد .

ثم تلف الظلمة مصطفى فمارغريت ، فنجمة ، ينطفئ النور

الأخير على سفاه الأخضر في الوقت الذي يبدأ فيه الكلام . . .

الأخضر : « محاولاً اذابة الجليد ، وتبديد الكآبة . « ألدريك شراب ؟

هاتي أي شراب كان . . . ستشربين معنا ، سنشرب . . . بدون حقد .

« تحضر مارغريت شراباً ، يشربون نخب الأخضر . »

حسن : وجراحك ؟

الأخضر : ماتزال جديدة .

مارغريت : لقد نزلت كثيراً .

نجمة : ستملئنه كما يملأ الزق .

مصطفى : « بغيرة » لقد أصبح عديم الاحساس ، مثله كمثل تلك الشجرات التي يمزقها منقار اللقلق حتى اللب .

الأخضر : « منحياً فجأة نحو مصطفى » إن هذا اللقلق نفسه « مشيراً الى نجمة » يجعل اسنانك تصطك هلعاً . ولكنني أشعر بالراحة . إننا إخوة . والغربان لا يحطم الواحد منها الآخر والآن قل لي أين رجالنا ؟

« يبدو مصطفى متبلد الاحساس ، لا يغير جواباً . صمت .

ثم يتطوع حسن للاجابة » .

حسن : لم يبق غيرنا في المنطقة . علينا ان نعيد تجميع رجالنا . إن منزلنا هو احد المنازل القليلة التي لم تدمرهم ، ولم يُستزَع ساكنوها تقول الصحف بأن حالة الحصار هذه لن تطول . ولكن جميع الرجال المشتبه بهم ، والذين تتراوح أعمارهم بين الثامنة عشرة والستين ، يقتادون بعيداً عن المدينة في قوافل عسكرية .

الأخضر : « لمارغريت » ما رأيك في الموضوع ؟

مارغريت : « ساهمة » إنه ينفذ الأوامر .

مصطفى : نعم . نعم انا اعلم ان الكلمة الأخيرة للمعمرين . فهم الذين يتخذون القرارات . لقد جعلوا باريس توافق على توزيع

السلطات بين الجيش والجيش المحلي ، ان الحاكم مشلولٌ تماماً .  
ويمكننا أن نتوقع كل شيء .

الأخضر : هل نستطيع إحصاء خسائرنا ؟

مصطفى : إني لا أرى إلاّ فئات ثلاث : الضحايا ، والأسرى ،  
والناجون . يخيّل إليّ أنّ لا نهايةً لذلك . وإذا ما نظرنا

إلى طرف الهوة الآخر لا نرى إلا الظلام الدامس يتراكم .  
إنهم يُعدّون كارثة ما . . رغم ما يبدو على الجو من هدوء .

الأخضر : ان خشيتهم من انتقامنا تجعلهم يدفنون انتصاراتهم بأيديهم .

مارغريت : لا تحموا بأن تلوم باريسُ الجيش ، وأن تسفه أعماله .

مصطفى : نحن أدرى الناس بما يعنيه تسليم السلطة إلى المعرّين . إنهم

سيتوجهون اليكم . سينقلون الارهاب في يوم ما إلى فرنسا

ذاتها . لقد بدأوا منذ الآن يضايقونكم . لقد بدأوا يغربون

بكم . لقد اكتسحوكم . إنهم مرتزقتكم الذين لا يفتأون

يطالبون بزيد من القوة مهبا أعطوا . إنهم لا بدّ منقلبون

ضدكم في ارج غطرسهم الحسيّة .

مارغريت : « مذعورة » اخفض صوتك . إنه يسمع كل شيء من مكتبه .

مصطفى : من ؟

مارغريت : أبي !

« يتبادل مصطفى والأخضر النظرات . وعلى صراخ

مارغريت ، يطير الباب قطعاً تحت جزمة القائد ، فاذا هو

يصرع ، في الوقت نفسه ، برصاص حسن الذي يصيبه اصابة

دقيقة من قرب .. لحظة .. تتونج مارغريت ثم تحزم  
أمرها ، وتمسك بزمام القيادة . تقفز فوق جسد أبيها وتمسك  
بالأخضر الذي يحاول التملص وسط الدوار الذي أصيب به .. »

مارغريت : لنحملها معاً بسرعة . إن العربة تقف أمام الباب .

« تحمل مارغريت الأخضر الذي يتوقف عن التخبط ،

يغادران السرح ، يتبعها مصطفى ، حاملاً جثة القائد . تبقى

نجمة وحسن وحدهما .. »

حسن : « ما يزال تحت تأثير فعلته » إنه أبوها حقاً !

نجمة : وما أهمية ذلك ؟

حسن : إنك لتسخططين حين تكرهينها . إن هي إلا فتاة غريبة ،

أبعدت عن وطنها ، وأرغمت على حياة الفراغ والشكوات .

لقد عاشت إلى جانب أب لا يعرف الرحمة ، فخلق تفكيرها

بالتحزب ، والتعصب الأعمى . لقد رمتها وحدتها بيننا

كالمسزومة (١) . منها تنتقل إلى صف الشباب كما ينتقل

الإنسان إلى صف الأعداء ماشية على دمها دون أن تعرف

هؤلاء الذين انضمت إلى صفهم . لقد حررتها من عزولتها

أحدى ضربات القدر ..

نجمة : ( عابسة ) لا يعني ذلك

حسن : ألا تشعرين بالغيرة ؟

نجمة : دعنا من ذلك .. يا لك من غبي ، وأنت تحمل مسدسك !

---

(١) السرنة : المشي في النوم .



لم تلاحظ بأن الأخضر ومصطفى يتبادلان الكُرّة حين  
يكونان أمامي ! وكيف ربطتهم الصداقة من جديد أمام  
تلك الفرنسية ...

حسن : إن غيرة الحب تتراجع أمام صداقة السلاح .

« ظلام .. نور . ضربات صنّج .. جوء مشرب  
غاصّ بالناس . تتحدث نجمة وسط المشهد . »

نجمة : لقد آن لي أن أتحدث عمّا وقّع للأخضر عندما ودّع طفولته .

كان يخيل إليه دائماً أنه قد أعدّ للحياة في بلد أجنبي  
لن أسميه . أما هذه الحوادث التي سأشرحها فقد وقعت له  
بعد أن نضجت فكرة رحيله بعدة سنوات . كان أبوه ،  
( أبوه بالتبني ) ، يعيش في مقهى ليلاً نهاراً . حتى  
أن الأخضر ليذّكر جيداً كم رافقه إليه المرة بعد المرة ،  
عندما كانت أعوام الجفاف تترك الرجال من دون عمل ،  
كان العمال والفلاحون وصغار المرّظفين ، حتى المحامي نفسه ،  
لا يكادون يغادرون المقهى ، كانوا يشربون قليلاً أو كثيراً ،  
كانوا يلعبون الورق أو الدومينو ، هكذا كانت تمر تلك  
الأيام القاسية .

كان المحامي يقرأ الصحف ، وهو يفرك عينيه ، وكان  
الآخرون يعلّبون رؤوسهم الى الوراء ليفكروا في مصائرهم ،  
كان أبو الأخضر يريد ألا يلاحظ وجوده أحد ، وكان يردّد ،  
« إن الصحف تشبه إلى حد ما تعاريف السحرة ، لا يستطيع  
جميع الناس أن يحلوا رموزها ، » وفي ذات صباح داهمت

الشرطة الشارع عدة مرات فلاذ الجميع بالفرار ، لاجئين الى المقاهي ، والحوانيت ، والمحامات .. حتى المحطة .. أما الأخضر فقد دخل الى المقهى ،

« تترك نجمة المسرح ، يشاهد العمال والفلاحون ، وصغار الموظفين في وسط المسرح ، وبينهم طاهر ، يجلس مصطفى في أقصى المقهى ، يتسلل الأخضر للوصول اليه .. »  
الأخضر : « وقد لاحظ وجود أبيه بالتبني ؛ بهمهم ، « المقهى مزدحم اليوم .

طاهر : لقد زاد الحضور واحداً بمجيئك .  
الأخضر : إني لأبحث عنك يا أبي . إني لا أطلب إلا أنت تدعني ، وشأني ..

مصطفى : إجلس أيها الرفيق ، واحترم أباك قليلاً .  
« في هذه اللحظة يتوقف المحامي عن قراءة الصحيفة ، ويندفع بصوت خافت » .

المحامي : لقد تم ذلك أخيراً ! . لقد حكم على رئيس الحزب بالسجن عشرين عاماً ، مع الأشغال الشاقة .

أحد الموظفين : « بلا مبالاة » هوذا المحامي يبكي !

المحامي : لن تكون أنت من سيتحمل عناء إخبارنا ذلك .

الموظف : إعذرني أيها الاستاذ . ولكن لك طريقة سيئة في نقل الأخبار .

مصطفى محكوم طبقاً للقانون ؟ عفواً أيها الاستاذ ، كيف حكم على الرئيس ؟

المحامي : « بلهجة جدية » طبقاً للقانون ، ولرغبات المعمرين . لقد  
لقد أطبقَ عليه الاثنان . ياله من عقابٍ محكم ! ..

الأخضر : وهو الآن دون دفاع ؟ !

المحامي : ليست هي المرة الأولى . سيوت في السجن طبعاً .

فلاح : إذآ ، فلم يعد هناك من أمل ؟

مصطفى : يخيلُ اليّ أيها الأستاذ ، لدى سماعك ، بأنه سيحكم علينا  
جميعاً ، عاجلاً او آجلاً .

المحامي : آه ! يا بنيّ .. لقد فهمتني . إن القانون يهددنا دون توقف .  
وهو يشعرنا بوجوده بمثل هذه الأحكام . ومع ذلك  
فالقانون لا يصيب الجماعات والكتل ابدأً . إنه يتركنا نعيش  
في خضوع ، مادمننا نعيش كتلة واحدة . ولكن ، إذا  
مابدا لساخطٍ - وبالسوء الطالع - ان ..

طاهر : مرحى .. أيها الاستاذ .. علمنا . زدنا معرفة ..

الأخضر : تريد ان تقول بأن رئيس الحزب كان الشخص الوحيد الذي  
لجأ الى التمرد ، وانه يعاود ذلك دون ان يتمكن من  
اقتناعنا . تريد ان تقول بأننا لم نسر معه حتى النهاية ..

المحامي : بلى ، يا بني ! وانت ايضاً تفهمني .. إنني ارى بأن من  
السخف ان يخرج المرء من شعب جائع جاهل ، كشعبنا ،  
ليقع من تلقاء نفسه تحت ضربة القانون . انتم ترون بأمر  
اعينكم كيف قضي على هذا المسكين قضاء مبرماً . إن الحكم  
عليه لن يفيد في شيء .. اللهم إلا في ادخال قسط او فر من

الفرع والخوف الى قلوبنا . وكل مانفعله نحن هو ان نطاطيء

اعناقنا امام غارات سلبنا ، وتجريدنا من كل ماملك ..

الأخضر : مرحى .. يا استاذ .. بيدك عليك انك تعرف الكثير من

القضاة . انك تتحدث عنهم بحكمة ..

المهامي : « بتواضع » اني مسجل في نقابة المحامين منذ عشرين عاماً .

الأخضر : اني لأفكر في هذا الرجل الذي حكم عليه . إنه هو ايضاً

مسجل في هذه الهيئة لمدة عشرين عاماً ، ولكن في الجانب

الآخر من المحكمة . اتفهم ذلك ايها الاستاذ ، أفهم ذلك ؟

المهامي : « مشتتاً » نعم ، لقد عرفت كثيراً من القضاة .

الأخضر : هل عرفتهم معرفة إنسان لانسان ؟

المهامي : بالتأكيد .. انني مسجل منذ عشرين عاماً ...

الأخضر : ليس قانونهم صعب المنال إذاً . يكفي ان يتسجل المرء في

النقابة . انك تبعث في الرغبة للقيام بذلك .

المهامي : « بانزعاج » لقد فات الأوان لاتمام دراستك ايها الشاب .

الأخضر : اقتربوا . اقتربوا جميعاً . نستطيع كلنا ان ننسب الى هذه

النقابة .. ولكن في الجانب الآخر من المحكمة ، فان القانون

سوف يبدل موقعه . ستكون عقربتك مخففة ايها الاستاذ ..

احد العمال: ليُدفع ثمن المشروب .. هذه المرة .

المهامي : كان الله في عونكم يا اولادي ... اني ذاهب الآن لأرى

ما اذا كانت الصحيفة قد وصلت ...

« يخرج المهامي ، فيجيبه الجميع مسرورين لخروجه . »

مصطفى : الاستاذ لا يجب حماسنا .

احدالموظفين : إنه رجل حر ، ولكنه يعاني بعض المتاعب .  
احد العمال : إنني أفضل رأسَ العبد الذي أحمله .  
الأخضر : « لمصطفى » هيا بنا .. حان وقتُ العمل .  
مصطفى : « يُخرج دفترأً من جيبه » 'فَتِحَتِ' الجلسة .  
« عمالٌ » ، وفلاحون يقربون في صمتٍ وسكون . يبقى  
طاهر وحده على المكتب .

الأخضر : « لطاهر » سنبداً .. حالما تغادر المكان .  
طاهر : « الى صاحب المقهى » بمثل هؤلاء الزبائن سوف تثري .  
« يخرج طاهر ، يتبعه بعض صغار الموظفين . يبتدىء  
الاجتماع بضجةٍ خفيفة ، ثم يُسَمِعُ قسمٌ من الحديث الذي  
ينطلق بصوتٍ منخفضٍ مثيراً الانتباه . »

مصطفى : ... إن « زنزاناتهم » ليست كزنزاناتنا . إنها لا تكفي أبداً  
لعزلِ مساجيننا . يجب أن تُهيأ مهاجعٌ عامةٌ رغم وجود  
المجرمين العاديين ، مساجين الحق العام . ينبغي ألا ندعهم  
يفاجئونا . علينا ان ندخل السجون ، وأمام أعيننا خطةٌ  
محكمةٌ لتحرير جميع من فيها ، حتى المجرمين العاديين ،  
مساجين الحق العام لأنه ليس لنا ان نحكم على من يعيشون في  
الطرف الآخر من سلاسلنا .

« تنطفئ الأنوار واحداً إثرَ واحد . بينما ينهض المجاهدون ،  
ويعضون كلٌ في سبيله . يخيم الظلام على شبحيّ الأخضر  
ومصطفى المنعكسين على الشاشة . تبدو بحجم كبير قضبانُ  
السجن الحربي ، وفي داخله الأخضر ، ومصطفى ، وحسن ،



مجتمعين في زنزانة واحدة . يتعرف المتفرجون ، على التوالي ،  
على أَرْجَهِ السَّجْنَاءِ الثلاثة الذين لن يروهم بعد هذه المرة  
طَوَالَ المشهد . ولكنهم يسمعون أصواتهم المتمايزة ، المنقولة  
بمكبر للصوت . أمام القضبان الظاهرة بشكل مجسم ، ومن  
جانبي الزقاق الذي تُطَلُّ عليه كوة الزنزانة ، تَقِفُ جُوقَةٌ  
الجمهور على صفين متراصَّين . كل شخصيات المسرح ليست  
رمزية ، ما عدا مارغريت الباريسية ، التي تتميز عن المجموع  
بأناقيتها ، بغدواتها وروحاتها الحزينة وسط الزقاق . إنها  
تنتظر وحدها أخبار الأخضر ، بينما يزاول الجمهور أعماله ،  
يتجول ، او يغفي ؛ يجري كل ذلك في جر من الانطواء  
على الذات .. انطواء ضروري لسماع الثلاثي الحبيس .

حسن : لن يُعَدِموك .. إنها مجرد مسرحية لملك على الكلام .  
الأخضر : لقد قالوا لي بأن ذلك سيتم غداً ، في الساعة الواحدة وكأنهم  
ينتظرون جوابي .

مصطفى : من الصعب أن يحاط الانسان علماً بمثل هذا النبأ . أنه  
لأشد صعوبة من عملية التعذيب نفسها .

الأخضر : عندما يسمع الانسان حكم الاعدام .

يصبح الزمن مجرد ذكرى للاعدام المقبل .

الدموع تتوقف من تلقاء نفسها .

مع هدير شلال في الأعماق .

ولا يطفو على السطح الا ذكريات آخر أيام الشتاء .

إنها ذكريات المدرسة .

مصطفى : لقد كنا معاً ..

الأخضر : وفي ذلك الشتاء بالذات ، دمجنا أنا ومصطفى عصابتي  
المختصتين . وكنا السباقين الأصدقاء لمغادرة المدرسة ، كما كنا  
أول من يصل إليها .

مصطفى : لقد كنت أفكر في ذلك .. كنت افكر فيه هذا الصباح  
تماماً . والآن .. الآن أتتحقق من أن حياتنا المشتركة لم  
يكن لها معني مع ذلك قبل أن نكتشف لنا ذكريات  
مشتركة .. قبل أن يتأكد كل منا في أعماقه بأنه سيكون  
موجوداً أبداً إذا ما أصيب الآخر .

الأخضر : لهذا فاني خلال تفكيري في أيام الشتاء قد اشركتك معي في  
سقطتي المقبلة كما كنا نشترك حين الخروج من المدرسة ، زمن  
التزاحم والتدافع ، في ذلك الوقت كنا نجعل حكم العدو .  
أنا الآن ..

إني أشعر الآن بدمي ينبجس فوراً ..  
كلما واجهت هؤلاء الرجال .  
الذين لم يتغيروا منذ تلك الأيام .  
كنت أرى فيهم أعداء منذ الطفولة .  
منذ ذلك الحين ، كان الحقد يخنقني ..  
الحقد ، والحاجة لأن أقف أمامهم يوماً ما  
وجهاً لوجه ، لأرى ما إذا كانوا قد هزَمُوا حقاً ...

مصطفى : لقد ادر كنا منذ الصغر أن علينا أن نقهرهم . فحينما قدرنا  
على الجري في الطريق . لجأنا الى المقلع ، وعصابات الأطفال ؛

كانوا يستعدون لضرباتنا دون جدوى . كانت عصاباتنا تقتصر دائماً . ولكن لماذا نهلك نحن في النهاية عوضاً عنهم . ستكون قبورنا دائماً في انتظارهم . سيتساقطون كالذباب لمجرد غيابنا .  
لني أساءل : كيف يستطيعون الحياة بدوننا ؟

« يردد نصفاً الجوقة ، كلُّ بدوره ، على التوالي .. »

« كيف يستطيعون الحياة بدوننا ؟ »

انهم سيتساقطون كالذباب لمجرد غيابنا .

كيف يستطيعون الحياة بدوننا ؟ »

« وهكذا ، ينخفض صوت السجين أمام صوت الجوقة

المؤلفة من الجماهير ، والتي تعيده كالصدى ، مشيرة بنفس الوقت

في نهاية هذا المقطع ، إلى السجناء ، وجلاديهم . في حين كان

لنهاية المقطع ذاتها معنى فريد في فم مصطفى ، ولم تكن

لتشير إلا الى الجلادين . بعد صوت الجوقة ينطلق على الفور

صوتُ الأخضر . »

الأخضر : لعل اقتراب الموت هو الذي يجعل غضبنا أشد عنفاً ؟

أترانا نعيش الأحلام الحربية لطفولتنا ؟

أهي الحرب ؟ أم انها مجرد حلم !

منذ مئة عام وهم ينتزعون أسلحتنا .

لم يبق لدينا ما نستطيع به الذهاب حتى الى الصيد .

« يردد قسماً الجوقة ، على التوالي ، نهاية هذا المقطع . »

.. لم يبق لدينا ما نستطيع به الذهاب حتى الى الصيد .

منذ قرن كامل وهم ينتزعون أسلحتنا .

أهي الحرب ؟ أم أنه مجرد حلم !

« فترة صمت ، ثم يبدأ صوتُ حسن الكلام بهدوء . »

حسن : « في همس » ألا تستطيعُ النومَ قليلاً ؟

مصطفى : لم يعد النومُ من هذا العالم ،

لمن سيرى الفجرَ عارياً ..

كعاشق يتحدى الليل في سباقٍ رهيب

« يردد قسماً الجوقة ، على التوالي : »

كعاشق يتحدى الليل في سباقٍ رهيب

لم يعد النوم من هذا العالم

لمن سيرى الفجرَ عارياً ..

« يعود حسن إلى الكلام بنفس الصوت مع مصطفى في

ثنائيٍّ يجمعُ حوله نصفَي الجوقة التي تلاحقُ بنشيدِها مارغريت . »

ونحن رفاقه في الزنزانة

نحرسُ الأخضرَ نفسه ، وهو أبدأً في عَجَلَةٍ من أمره ..

الأخضر نفسه الذي يضيق عن آماله الزمانُ والمكان ..

لقد بدأنا نتعثر منذ الآن أمام نظرتِه ..

يبهرنا البريقُ المعدني الذي يخترقه

في لحظة السمو ..

حين يجتذبُ رأسُه الصاعقةَ

ويجعل البنادقَ تنحني أمامها ..

« حين ينتهي صوتا حسن ، ومصطفى ، المنديجان في  
ثنائي يجمع نصفَي الجوقة ، من انشاد البيت الأخير حول  
مارغريت ، تعيد الجوقة كلها المقطوعة بكاملها متوجهة إلى  
مارغريت التي تلوذ بالصمت . ثم تغزو الجوقة السجن بسرعة  
دون أن ترى .. بينما تبقى مارغريت وحدها في الشارع .  
ويعود صوت الأخضر إلى الكلام . »

الأخضر : الآن ، في هذا الوقت الذي ترن فيه أقل كلمة أكثر مما  
ترن الدمعة .

أحس جيداً بالظلم العام  
أرى وطني .. أراه فقيراً معدماً  
أراه مليئاً برجالٍ قُطِعَت رؤوسهم  
أحس هؤلاء الرجال واحداً واحداً .  
أحسهم في رأسي ..  
فهم مائلون أمامنا أبداً ..  
ولم يعد لدينا الوقت الكافي للحاق بهم .

« الجوقة ، وهي ما تزال غير مرئية ، تردد هذا البيت  
الأخير » .

لأنهم مائلون أمامنا أبداً ..  
ولم يعد لدينا الوقت الكافي للحاق بهم .  
« بعد ذلك يعود صوت الأخضر للكلام . »

الأخضر : في كل عام ، في كل موجة عميقة من موجات أشباحنا



الطينة بلا جدوى نطح الصخور برؤوسنا من جديد وتجدد  
الحسائر .

التي يطول رثاؤنا لها ..

ولكن روحنا قليلاً ما تنتحب

فنحن نمسك بالزمن جريحاً بين أسناننا ، كما يفعل عددٌ

من المفكرين الشباب

الذين يغيّبون أنفسهم في المعابد .

فمن وراء الهياكل

تصلنا آلامٌ خطيرة

تعكر موتنا في صميمه ..

« في هذه اللحظة تبرز مجموعةٌ من الجنود يدخلون السجن

ويخرجون منه على الفور وهم يواكبون ثلاثة سجناء مجهولين

يُعدّمون رمزياً في الطريق ، على ضوء مصباح يشير الى الفجر

ثم يتوك الجنود المسرح ، وتخرج الجوقة من السجن ، لتدفن

بمركات صورية ، الجثث الثلاث ، وهي تدمدم بصلاة

الأموات . ثم تصطف الجوقة على جانبي الطريق كلمرة السابقة

حول مرغريت التي ما تزال تنتظر وفي أثناء ذلك يتوقف

المصباح عن القاء نوره على الجثث ، ليعلن للأخضر الذي يبقى

وحده انبلاج الصباح . »

الأخضر : لقد دنت اللحظة الحاسمة . فليتركوني أرى ضوء النهار ولو

لمحاتٍ قليلة ، علني أستطيع طرد هذه الافكار السود التي

تطبق عليّ .

لقد حانت اللحظة التي يفقد فيها الانسان رأسه إلى الأبد .  
إنه لَعَزَّوْهُ مَفاجيء .. كلُّ ما كنت أبحث عنه أصبح  
يلاحقني . يبحث عني . هانحن تحت الرياح المعاكسة الهوج ..  
نُحْكَمُ بِحَقْدٍ لَا يَفْتُرُ ، وَلَا يَكِيلُ .

« يُرَدِّدُ قَسْمَا الْجَوْقَةِ عَلَى التَّوَالِي .. »

هانحن تحت لفحات الرياح الهوج ، نَرَزَّحُ أبدأً تحت  
حكم حاقدٍ لَا يَفْتُرُ ، وَلَا يَكِيلُ ..

« يدخل ضابطان السجن . تُسْمَعُ أصواتٌ تدل على  
أنها يعذبان الأخضر . »

الضابط الأول : سينفدُ فيك الحكمُ في زنزانتك .

« صَرَخَاتِ الاخضر .. يتراقص نور مصباح مذعور ماسحاً

جدران السجن . بينما يردد قسما الجوقة بأسى عميق . »

الجوقة : في زنزانتك سَتَعْدَم .. سَتَعْدَم في زنزانتك .

« بعد سكون طويل يُسْمَعُ الاستجواب يُعَاوَدُ من جديد . »

الضابط الأول : أنظر إليه .. أنظر كيف يَحْدُجُنَا بنظراته . لم أرَ

مثل ذلك قط .

الضابط الثاني : « للأخضر » لاحظ جيداً أننا لا نستجوبك إلاً حفاظاً على

الشكليات فقط . إن في نية الرئيس ان يرسلك الى جهنم ..

ها .. تكلم ..

الأخضر : « يصرخ في مكبر الصوت . » أهذا هو تنفيذكم للاعدام ؟ ..

هذا هو إذاً ؟ الكلام لكم الآن .. ها تكلموا ..

« يدخل مدير الشرطة بدوره الى السجن . إنه ضابط بدون لباس رسمي . يُسَمَع الأخضر وهو يصرخ صراخاً موجعاً أثناء دخوله . صمت . . ثم تُسَمَع نهايةُ الاستجواب »  
مدير الشرطة: ماذا ؟ ألم تفتنوا منه بعد ؟

الضابط الأول: يُخَيَّلُ الي انه قد فَقَدَ صوابه . إن التعذيب مع انسان مثله لا يجدي . أقول ذلك مع احترامي الشديد لمقامكم .  
انهم قد اعتادوا ذلك . .

المدير : لقد قُضِيَ عليه مع ذلك . . إن رؤى التعذيب ستلاحقه طوال حياته . إنه سيصرُخُ كالمسوس . دعه يَعودُ الي رفاقه . دعه يعود الي امه . فعند ما يرون ما حلَّ به سيفهمون جيداً .

« يغادر الأخضر الزنزانة دون مرافقة أحد . يسير متعثراً في الزقاق المكتظ بالجمهور بين صفي الجوقة مواجهاً المنظر الذي يرمز للعدو . إنه منظر مارغريت التي تنهال عليها الجوقة المجتمعمة بالتهكم . »

الجوقة : « مشيرةً الي مارغريت » .

هذه هي الباريسية

روحُ المدينة المفتوحة

ابنة الجلاد

النباتُ الشرس الذي ينمو على هامات قتلانا .

هذه هي الباريسية

صاحبة الالوف ألغرة .

هذه هي الباريسية

الجاهلة

الغليظة القلب

ابنة الجلاء

لقد تأخرت .. تأخرت كثيراً

في الانضمام الى جانب الضحايا ..

هذه هي الباريسية ..

« الأخضر يمسك بذراع مارغريت . تستمر الجوقة في

الدمدمة .. يجيئها الأخضر وهو يجرّ مارغريت . »

الأخضر : « مشيراً لمارغريت »

لقد تأخرت .. تأخرت كثيراً في الانضمام الى معسكر

الضحايا . لن أحبها أبداً .

لكنني تحسرت عليها دائماً .

« منظر الشارع يبدو طبيعياً . بائعون . نساء محجبات

يبتعن حاجاتهن .. الأخضر شاردأ . البائع أمام شجرة

البرتقال . »

المرأة : ها هوذا الأخضر بلحمه ودمه . كيف يقولون إنه قد مات . »

البائع : برتقال حلو

برتقال حامض

برتقال مز ..

بالواحدة .. بالكيلو .. برتقال .

المرأة : هات برتقالتين .. يا لحيّة الشيطان ! زنتها . انت تفضل

البيع بالواحدة ، أليس كذلك ؟

البائع : « متملصاً » إذا كان الأخضر هو الذي سيدفع ..  
الأخضر : « يسمع الحوار من بعيد » هيه .. ماذا تقول ؟  
المرأة : « للبائع » خذ دراهمك .

الأخضر : « يصل إلى جانب العربة » ماذا تريد مني ؟  
المرأة : « بصوت منخفض » اتبعني يا أخضر . سأجعلك تعرد إلى صوابك .  
الأخضر : « بلهجة مشاكسة » لم أسمع ما تقولين .  
المرأة : « تمسك بالأخضر من يده » لنذهب !  
« يتعدان » .

المرأة : من أنا ؟ في اعتقادك ..

الأخضر : أنتِ أختي .. أو أختُ أحد الرفاق . سيان ذلك لديّ .

المرأة : وماذا تُرَى قد حَدَثَ لنجمة ؟

الأخضر : « وعيناه متجهتان إلى السماء » كانت نجمة فيما مضى كنجمة  
الدب الأكبر بالنسبة إليّ ، اجدُ على هدّها طريقي . ثم  
مِتْ . فكيف أستطيعُ تمييزها في وضح النهار ؟

المرأة : « بأسى » لشدّ ما تغيرتَ ! .. « لنفسها » إنني أفضل ان  
اجلسَ على شاهدة قبره عن ان اراه يتخبط كالأعمى او  
كالجنون . لعل الله يُسدل عليه الليل أخيراً .

« تنطفئ الانوار جميعها لحظة . وعندما تشتعل من جديد  
يتبين ان المرأة - وقد اسفرت - هي نجمة نفسها . الأخضر  
يختفي وراء الكواليس .

« نجمة تصحب هذه المرة مارغريت وطاهر » .



طاهر : « مثل حتى الموت » تؤكل الحمامات صغيرة ، ونبئة .  
نجمة : اهذا انت ايها الثعالب الهرم ، بشدقك القدر ؟ لا ادري  
ما الذي يمسكني عن هرس اسنانك ؟ ما ارى ذلك يحتاج  
إلا الى ضربة واحدة من سراري .

تعالى يا مارغريت ، هذا الرجل لا يهمني . بالرغم من انه  
هو سبب شقائي . لا تردي عليه تحيته .

« يبرز الأخضر ، ويتجه فرراً الى نجمة بينما تنسحب  
الشابتان . »

نجمة : « وهي ترتعد » تعالي يا مرغريت . لنذهب من هنا .  
الأخضر : عفراً يا اختاه .. الى اين تذهبين ؟

نجمة : « تدير عينيها . » انه مجنون . لا أورد رؤيته .  
« في هذه اللحظة يتسلل طاهر متخفياً . طاهر الذي كان  
مختبئاً خلف المسرح . »

طاهر : « تفلت منه صيحة فيجبسها بين اسنانه » .

يا إلهي ! لقد اطلقوا الافعى اذن ..

« طاهر ينقض على الاخضر ، ويطعنه بخنجره . تهرب  
المرأتان والقاتل ، كل في اتجاه ، الاخضر يترنح ، ويرتطم  
بشجرة البرنقال ويبقى معلقاً بها لثلاثينهار .. ينتشر  
الجمهور حوله . »

احد الرجال : « تهزه الشفقة » وهاهو مسكين جديد يمضي ...

الاخضر : « وهو معلق دائماً بشجرة البرنقال » هيه ! ايها الرجل ! هل

تبكي لأن الثورة قد حُطِّمَتْ؟ لا . لا تبك ! لا داعي  
للبيكاء ..

رجل آخر: لقد مات أهلي جميعهم حرقاً بالنار . لقد حوّل بيتنا الى  
رماد لقد ابتدأ هذا العام وانتهى بالنحس  
الأخضر : « مناخلاً ضد الهذيان » سنوقد معاً عندما تدعني هذه الشجرة  
أسقط على الأرض .

امرأة : لقد كان لي ابن فيما مضى .

أبغضت حتى اسمه

عندما يعود اسم الابن المفقود

الى سر صباي العميق

أراه يتقلُّ على أحشائي ،

اكثر مما كان يتقلُّ عليّ عندما كنتُ أحمله فيها ،

في ذلك الزمن الذي كان ينام فيه آمناً

في حماي .

قبل أن يفصلَ جسده عن جسدي

ويكسره على رؤية النور ،

في هذه الأرض الموحشة ،

في هذه الصحراء التي لا يجد فيها فمي الجوع اليه .

وها أنذا أمقت حتى الاسم الذي يطلقونه عليه ،

لانهم سيختطفونه بذلك من سري

لم أعد أترقب مرور السنين

برغبتى القديمة في السعة والهناء

أنا التي أضعت ثلاثة من الفصول الأربعة  
لألد مسخاً يُفْلِتُ مني أبداً .. فما أراه .

« يتجمع الجمهور في جوقة تصطف على جانبي الطريق .  
رجال ونساء يقفون على صفين يواجه أحدهما الآخر ليكوّنا  
قسمي الجوقة . النساء وحدهن يرددن بصوت واحد المقطع  
السابق ، مستعيدات لانفسهن الانتحابات الوالدية كأنهن قد  
مررن بالمأساة ذاتها . ثم تكمل المرأة التي تحدثت الى الأخضر  
سيل اعترافاتها التي ترددها جوقة النساء كالصدى . »

المرأة نفسها « للأخضر » لم يكده يبلغ ابني سن المراهقة حتى رحل الى  
فرنسا . ولكنني اعلم انه عاد . ومع ذلك لم يأت لزيارتي .  
انه ما زال يحيا في الزقاق كالأشقياء

« هنا لا تعيد جوقة النساء إلا نهاية المقطع لتوسيع  
معناه الأصلي . كل امرأة تتجه أثناء الانشاد الى الرجل الذي  
يقابلها ، وتشركه في اللوم الذي وُجّه للأخضر . »

جوقة النساء : « تتوجه الى الرجال الذين يواجهونها » ما رأيناكم تزوروننا  
قط . لقد ثابرتم على العيش في الزقاق كالأشقياء .

« الأخضر الذي ما زال معلقاً بالشجرة يجيب حينئذ على اللوم  
الذي وُجّه اليه سابقاً . »

الأخضر : اذهبي أيتها المرأة المسكينة .. فأمامك الوقت الكافي للبكاء .  
ليس الزوج والولد إلا شيئاً واحداً بالنسبة لك ...

لقد مات كلاهما

قبل أن تفتح الارض لتلقى سقطتك . فهناك أب بالتبني  
واقف أبداً بالمرصاد ليجلل حياة تملك بالسواد ، ويلاحق  
ابنك اليتيم .

المرأة : « مقربة من الأخضر » ماذا تقول يا بني ؟ ماذا تقول هنا ؟  
أيمكن أن يكون سري الذي بحت به هو سرك نفسه ؟ أم  
أن ذلك مجرد هذيان ، اوتنبؤ غامض !

الأخضر : لا جدوى من الكلام عن ماضي ...

المرأة : « تقرب اكثر فاكثر » قل لي بربك .. هل مات الاخضر ؟  
فالحداد قد خلق لي .. اني أوجه هذا السؤال المر لكل من  
يرون بالنزع الأخير من حولي !

الأخضر : لن أستطيع أن اطئتك أبداً .. أنا الفلاح الاخير .

الذي قدم باناً على هذه الشجرة . لأدري ما الذي يشدني اليها  
أهو الرجل الذي كنته !

أم الخنجر الذي .. يقتلني

« هنا تأخذ جوقة الرجال بداية المقطع الاخير وتردده كأنه  
يمثلها ، متوجهة إلى صف النساء الذي يواجهها . »

جوقة الرجال « موجهة الكلام إلى النساء »

لن نستطيع أن نطمئكن أبداً .

نحن آخر الفلاحين .

الذين قدموا قرايين على هذه الاشجار .

لاندرى ما الذي يشدنا اليها !

« الاخضر يعيد كل المقطع ويكمله ، متوجهاً إلى أمه

التي لم تكن سوى المرأة ذاتها التي اقتربت منه وادلت باعترافها  
من قبل .»

الأخضر : لن أستطيع ابداً ان اطمئنك .

انا الفلاح الأخير

الذي قُدم قرباناً على هذه الشجرة .

لا ادري ما الذي يشدني اليها ؟

اهو الرجل الذي كتته ..

ام الحنجر الذي يقتلني ..

ماذا يجدي ارملة ابي

ان تعرف اني 'قتلت'

بيد زوجها الثاني الذي لم تحتره !

هل رأيت الافاعي التي تشد المتعة

تتوى داخل التبن ؟ هكذا تتوى ذاكرتي ،

خلال حوادث القتل والنفي ..

وهذا الحنجر الذي يسمرني الى الشجرة ،

انه الإنسهار الذي يُنَوِّم به العقرب الشاب

انا المطوق بعوسج اعلي ، ومنشأي ،

لا ارى نفسي مديناً بشيء لهذا الأب الدخيل ،

حتى في ذبجي ، وتقديمي كقربان ..

انه ابعد من ان يكون ابراهيم الخليل .

وانا لست 'إلا هراً سلكت جلده بومة' قبيحة

على اوطب غصن ..



ولا انتظر إلا السقوط من على هذا الغصن  
لافتاً عيني هذا الطائر المشؤوم  
المتخبىء بين اغصان الشجرة التي يظني راقداً فيها ..  
« قرعات طبول . تخلي الجماهير النائرة المكان . لا يبقى  
إلا الأخضر المشدود دائماً إلى الشجرة . صوت الجوقة التي تتبعثر  
بعيداً .. »

الجوقة : يا مجاهدي الجزائر !  
لا تتركوا معارككم ..  
إن ساعة المعارك ما تزال بعيدة ..  
يا مجاهدي الجزائر ..

« يدخل مصطفى وحسن المسرح ، وهما يتحادثان .. »

مصطفى : لنذهب .. لنسحب إلى الجبال !  
حسن : سيقدم لنا الفلاحون الملاجئ ..  
مصطفى : فلنذهب .. لاعادة تجميع قوانا .  
حسن : سنعود أشدّ ضراوة .  
مصطفى : « يتوقف عن الحركة » قف .. أليس هذا هو الأخضر ؟  
« مشيراً إلى الشجرة .. » ..

حسن : هو بعينه دون شك .. إنه جريح من جديد .  
الأخضر : مرحباً .. مرحباً بالرفاق .. لا تذهبوا دون ان تنبؤوا  
بكلمة ... لا تتركوني كما يُترك الميت .. دعوا لي بعض  
التبغ على الأقل ..

مصطفى : انك لا تستطيع ان تمكث في هذا الوضع « يمشي الى الشجرة ،  
يتبعه حسن . » سنحملك من هنا ..

الأخضر : « بلهجة عنيقة » ابقوا حيث انتم ! « يتكسر صوته ، يعود  
الى الكلام بصعوبة دون ان يخفض لهجته » ! اني لم أعد  
أحسُ الخنجر .. يخيّلُ الي انـه مغروس في الشجرة ..  
واني أرنُ كما يرنُ الترسُ تحت الضربات دون ان احسُ  
شيئاً .. منذ اقتادني الموت من كفتي بلمسته المباغتة .  
ابقوا حيث انتم ، إذا اردتم نزع الخنجر فيجب علي ان ادير  
لكم ظهري ، واتخلى عن الشجرة في حين اني اموت هنا ،  
لأحميها بهلاكى من البرد ..

مصطفى : إنك تقف منتصباً في وضع الشنق الذي اخترته بنفسك ..  
وترفض ان تخطو خطوة الى الأمام ..

الأخضر : اسأل الشجرة .. اسألها .. هل تقوى على السير .. ام ان  
عليّ انا ان افتتح المسير !

مصطفى : سنحملك إذن !

الأخضر : لا تُحمِلْ إلا الجثث .. اذهبوا .. واتركوا لي شيئاً من التبغ .  
« قرعات طبول .. »

صوت الجوقة : « من بعيد »

يا مجاهدي الجزائر !

« ينتزع مصطفى وحسن نفسيهما من الرفيق المحتضر . »

حسن : لندعهُ هنا .. إنه يصارع جثته دون جدوى .. كيف يستطيع  
للحاق بنا !

مصطفى : نعم .. لندعهُ هنا ... لسنا أشدَّ إقناعاً من الأشجار بالنسبة  
له . إنه في صراع مع جثته ..

« حسن ومصطفى يتفحصان طويلاً وجه الأخضر المظلم ،  
الذي يحطم الصمت فجأة » ، في الوقت الذي يغادر فيه حسن  
ومصطفى المسرح ببطء ، كأنها يتبعان موكباً وهمياً . »

الأخضر : وداعاً .. أيها الرفاق !

أي شبابٍ مروّع قضيناه !

« هنا تدخل المسرح أم مصطفى باحثة عن ابنها الراحل  
إلى المنفى . تتحسس الشجرة دون ان ترى الأخضر . ترتدي  
ثوب نزلاء المصححات العقلية الأزرق . وعلى رأسها ينتصب  
شعرها الذي لم يخالطه الشيبُ إلا لماماً . تلتمع في أحداقها  
نظرة زائغة ، لا تستقر على شيء . لم يعد لهيكلها المحطّم ، ولا  
حركاتها المجهدة شيء من الأنوثة . يتخلل هذيانها من حين  
لآخر صرّخات طيور مشؤومة . تلفظ اسم مصطفى بصوتٍ  
يختلف كل مرة عن الأخرى ، كأنها تستطيع من خلال هذا  
الاسم الذي تحول إلى عبارة سحرية ان تمسك بصورة ابنها  
المتوارية .. »

الأم : مصطفى .. مصطفى .. « صيحات طيور » .. مصطفى ..  
الأخضر : انه دائماً هنا .. انه ينتظرنى في هذا العالم . وانا انتظره في  
العالم الآخر ..

إننا نقضي العمر يودع بعضنا بعضاً .

الأم : « وهي ما تزال في حالة تنويم » مصطفى .. مصطفى ..  
« صيحات طيور . »

الأخضر : « يردد كالصدى » مصطفى !

« صيحات طيور جارحة ، تنتهي بمثل اغاريد الربيع . »  
« تنطوي المجنونة على نفسها ، خافضة رأسها ، ثم يرتفع  
صوتها خفيفاً ، ممزقاً .. تردد صدها جوقه' النائمات غير  
المرئية . »

الأم : « تجلس القرفصاءَ امام شجرة البوتقال ، التي تمسك بالأخضر . »  
على مقعد المصحح الكبير  
انا المجنونة الهاربة ..

انا الأرملة المؤجلة والأم المحجورة

« صيحات الطيور ، تطلقها جوقه' النائمات اللواتي يُعدنَ  
المقطع السابق . ثم يستمر الحوار بين الأخضر المحتضّر ،  
وأم مصطفى . »

الأم : « تعود الى نحس الشجرة حول الاخضر . »

لقد تركتُ اللبوءات تكبر

دون ان اتمكن من مشطِ شعرها ..

ذلك ما تنبأت لي به الطيور ..

لقد ذبحوا الابن

وحلقوا رؤوس البنات !

ذكرى لأهم المجنونة ..

الطيور تثب هازئةً بي

هازئة بي ، هازئة  
بابني الذي ينتظرنني على المقعد  
مقعد المصح الكبير .

الأخضر : كان ينتظرنني أيضاً ..

في المكان الذي تهذي فيه امه

دون ان يعبا بمشقتي الخضراء (X)

لقد تركني دون ان ينس بكلمة ..

ليشد جسداه الى اشجار اخرى ..

هكذا تتعاقب مصائرنا ..

رجالاً ، ونساءً ، أجساداً ، واموالاً

لاشيء يقف في وجه هذا الرحيل .

لقد اصبحت ام ريفي امماً لي ..

في هذه الوحشة الرهية الهائلة ..

« تأخذ جوقه الرجال غير المرئية في الانشاد من بعيد » .

الجوقة : ويهبط الظلام .. وينحني عالمنا بأسره على نافذة العدم ..

لا تلقوا الحجر على المجنونة ..

فهي التي نهضت لتوصد النافذة

ولهذا تكلفت عينها .

الأم : « تقع ، ثم تحاول الوقوف ، وهي هاربة » .

الظلام هو السبب في سقوطي

وهذه الطيور تسخر مني ..

« ينفجر مكبر الصوت صائحاً : صدمة كهربائية .



صدمة كهربائية . صدمة كهربائية . بيننا تضاء الشجرة  
بشرارة صاعقة . وفي الوقت نفسه تطلق الطيور المشؤومة  
صيحاتها . »

لأنها تسخر مني . . . لأنها تهزأ بي :  
« تبدأ الجوقة كلها الانشاد ، بيننا تقفز أم مصطفى  
خارج المسرح . »

الجوقة : هكذا تتعاقب مصائرنا . .  
رجالاً ، ونساءً .. أجساداً واموالاً ..  
لا شيء يقف في وجه هذا الرحيل ..  
« تعصف الريح بشدة . بيننا يثبت الأخضر نفسه على  
الشجرة ، وهو يبذل جهده الأخير . »

الأخضر : ما أكثر الرجال ، والنساء الذين مروا على هذه الطريق دون  
أن يكتوثوا لمشنتقي الخضراء . . ياللموكب الحزين الذي يرقب  
فيه الميت الغائبين . . ثم يلحق بهم . .

« ينطفئ النور . يشتد عصف الريح . لأنها ريح  
الموت . يدخل المسرح البائع وعربته تحت إضاءة خفيفة .  
« يعود الأخضر والشجرة الى الظلمة . »

الأخضر : جميع العقوبات هي كعقوبة الاعدام لمن يبلغ الصيم . .  
صيم القدر . .

هنا يتلخص وجودي في نسبة  
أما لساني الذي نمت عليه  
الطحالب أخيراً ..  
فسيكون غذاءً للكون بأسره . .

عليّ الآن ان أتقياً كل شيء ..  
 الآلام ، والهموم ، والأوهام ، والعلوم .  
 عليّ ان ألفظَ كل شيء كالمحيط ..  
 يتقياً الآلىء ، والجثث ..  
 عليّ ان امضي الى الاعترافات ..  
 إذا ما أردت الانطلاق خاوي الوفاض ..  
 الى الجانب الآخر من القدر ..  
 حيث لا يدخل قناع المأساة  
 ولا جمهور ، ولا مارّة ..  
 هناك في أحضان الأعالي العذراء  
 حيث تفيض القبلةُ بعباطئها فتقلب نجمة ..  
 حيث تبلغُ ذؤاباتُ الشعر القدم ..  
 حيث المعرفةُ سطوعُ برقِ أمين ..  
 وحيث الحبُّ ليلةٌ واحدة بلا ذكريات ..  
 « ظلام .. ضوء .. قرعات صنج مديدة .. البائع نائم  
 تحت الجدار . الأخضر مستند الى الشجرة .. »

الأخضر : هيه .. أيها النائم !

البائع : « دون ان يرفع رأسه . » تابع كلامك يا بني ! انا لا أومن  
 بالاشباح مطلقاً . تستطيع ان تحتبىء خلف الاشجار . لقد  
 جاوزت سنّ الخوف ..

الأخضر : « مهمماً بين شفثيه »

دائماً في لحظة الاعترافات . . يبدو المسرح خالياً ليكن

ذلك . سأكون أنا الزنانة كلها . . إن الغائب الوحيد الذي  
ما يزال يثقل علي من بين الغائبين بدون مبرر هو أبي . . أبي  
الذي جيء بجثمانه مدرجاً في لحاف في حين كنت انتظر منه  
نهاية قصة ، ونهاية حلم طالما اختلطا في مخيلتي . .

لقد انغمس ذات يوم في الحمارات ، بصحبه السكرارى  
والجرمين . كانوا كلهم يبحثون عن أجنبية بارعة الجمال واسعة  
الثقافة . كانت على درجة من الجمال والتحفظ جعلت أصدقاء أبي  
يقتلون حتى الفجر ليشقوا لهم طريقاً بين الجموع ، ويلحقوا بها  
في الفندق الفخم الذي يستقبلها فيه عشيقها . كان أبي هناك . .  
يتأكله الحقدُ والغیظُ ، وهو يقتفي خطوات هذه المرأة التي  
يلاحقها الناس باحترام في الاعراس . لقد جرح في ذلك اليوم  
جرحاً بليغاً بموس حلاقة ألقاها في وجهه رجلٌ عجوز من  
احدى النوافذ ، بينما كانت أبي يرقب المحظية اللعوب ،  
و'يلقي في وجوه أصدقائه بشآبيب من الدم الثخين الملتهب . .  
ولم أستطع أنا بدوري أن أمتنع عن اطلاق صرخات  
اليمة ، لالشيء ، إلا لأخفف عن نفسي وقع العار ، والنزوات  
التي غاص فيها أبي حتى الأعماق . كنت في ذلك الحين قد  
ولدت ، كنتُ أصرخ ليلاً ونهاراً لأشير الى الرجل النذل  
الذي يحملني بين ذراعيه ليعرضني أمام موضوع حقدّه وغيظه ،  
أمام الأجنبية التي لم تكن لتغفل الظهور أمام نافذتها في  
الساعات المتأخرة من الليل ، حيث كنت أعوي من النعاس . .  
ومن هذا الهوى الجامع الذي يحمله أبي .

واخيراً نزلت الأجنبية بخطواتٍ رشيقة ، الأجنبية بلحمها ،  
ودمها ، بوجهها غير النقي ، وحركاتها التي كان الحشد يتأملها  
و كأنها طقوس عبادة .. المرأة ذات العطر المجهول ، التي  
أحاطتني بذراعيها بينما رحلت انشق أنقل وأجل اثناءها ..  
( كان يبدو لي أن لها أهداء آخر ، لأنها لاتشبه أُمي التي  
لها ثديان فقط .. ) ووقف أبي مسرّاً أمام الأجنبية التي  
كانت تداعبني باسمه ، وأمام الناس الآخرين الذين كلوا  
يتوقفون عند هذا المشهد الفريد .. وقف غارقاً في صمت  
كان يملأني بالندم والغيرة . انا الطفل الذي لم يتجاوز عمره  
السنوات الست .. والذي اصاب باهواء والده ، انا الذي  
كنتُ اقوى منافسيه في الوقت الذي تكن اسناني جميعها  
قد ظهرت .. انا الذي لم اشأ ان اصدق بأن تلك الأجنبية  
قد اختفت ، وان ابي قد اذرج في لحاف وحمل الينا بينما  
كنتُ العبُ في الشارع مع نجمة .. نجمة ابنة الأجنبية التي  
اختطفها والدي .

« عند هذه الكلمة الاخيرة يهوي الاخضر امام شجرة البرتقال  
المصعوقة .. تضاء الانوار .. يتسلق علي شجرة البرتقال .. تلاحقه  
نجمة .. قرعات صنج مديدة .. تحنفي جثة الاخضر رويداً رويداً ..  
تحت سحابة من الاوراق اليابسة . يجلس علي فوق قمة الشجرة ، ويدلي  
ساقيه من عن طرفسي الغصن . يقطع غصناً ذا شعبتين  
ليضع منه مقلاعاً .

نجمة : إنزِل من هنا ! ألا تريد النزول ؟ هيا انزل .. واعطني  
هذه المدية !

علي : لها مديّة والدي .. إنها مديتي ..  
نجمة : لماذا حشوت جيبك بالنارنج ؟ ألق به إلى الأرض ! ألم  
أقل لك مائة مرة ان هذا البرتقال مسموم ؟ هيا ..  
إنزلي ..

« يبقى عليّ فوق الشجرة ، يغرفُ برتقالاتٍ من  
جُيوبه ، ويضعها في مقلّعه ، ويصوبُ باتجاه الجمهور .  
مطرّ من البرتقال في الصالة .. يُنزّل الستار الذي تنهال  
عليه ضرباتُ المقلّاع .. بينما يُسمَعُ صوتُ الجوقة يدمدم  
من بعيد : »

يا مجاهدي الجزائر .

لا تغادروا معاقلكم ..

« ظلام .. نور .. قرّعاتُ صنجٍ مديدة . »

( انتهت )



# الأجداد بزدادون ضراوة

« هذه المسرحية تكمل برموزها ، وأحداثها مسرحية  
« الجثة المطوقة » . إنها تبلغ بأبطالها مرحلة الثورة  
المسلحة ، الحرب التي تعبى كل طاقات الشعب الجزائري  
لانتزاع حريته واستقلاله . »

« المترجمة »



« حجرة في السجن ، ساعة التقد . »

- الحارس : محمد بن صالح
- صوت في العتمة : حاضر .
- الحارس : عمر عمّار بن علي
- صوت في العتمة : حاضر .
- الحارس : محمد بن أحمد .
- صوت في العتمة : حاضر .
- الحارس : مصطفى بن محمد .
- صوت في العتمة : حاضر .

الحارس : هل عينتم مناوب الليلة ؟

حسن : « مشيراً الى مصطفى . » هو . إنه متطوع .  
الحارس : « لمصطفى » كيف ذلك ؟ دائماً انت ؟ دائماً متطوع للسهر ؟

مصطفى : مادمت لا أستطيع النوم ، فاني أسهر .

« ينسحب الحارس ويغلق الباب . المساجين نائمون على

محاذاة الجدران . ملابسهم تحت رؤوسهم . همس . أصوات .

يشير اليهم مصطفى من مكانه بأن يسكتوا . بعد صمت قصير

تتردد همسات جديدة . يقف حسن فجأة ويأخذ في السير

موزعاً ركلاته بقدميه . لا يتوصل إلا الى اقامة صمت مؤقت .

تستمر الهمسات . »

حسن : وبعد ، ألا تريدون إقفال هذه الأصدقاء ؟

« هدوء مصطنع . »

حسن : « لمصطفى » أشعل قداحتك .

« مصطفى يمثل . »

حسن : هل الجميع نائمون ؟ . حسناً ، سأبدأ .

« يدرع حسن الغرفة عدة مرات بخطوات رياضية مارا

على بطون الرجال الذين ينامون جميعاً في وضع التهيؤ كما لو

كانوا مستعدين لهذه الطقوس العقابية الغريبة . لا صوت ولا

تنهد . يعود حسن الى مكانه . صمت . لم يعد يرى إلا

لهب القداحة الذي يضيء مصطفى . قرعات صنج مديدة .

يزهد حسن بخطوات ذئب لإيقاظ مصطفى . يهب هذا

واقفاً بجرأة آلية ليقف موقف السلم القصير لحسن الذي بدأ

يحك السقف بآلة حادة غير متقنة . تمر فترة . ينبلع الفجر .

ضوء على حسن . يقفز نازلاً على قدميه . »

مصطفى : لم تنته بعد . لم يحين يوماً بعد .

حسن : « وهو ينزل على قدميه . » سنستأنف العمل هذا المساء .

« يستيقظ الرجال . ظلام . قرعات صنج مديدة . نور

يضيء حسن ومصطفى . يتكرر المشهد السابق بسرعة . يرى

حسن وهو يفرغ من ثقب السقف وقد أدخل رأسه في

الفتحة حينما ينفض المساجين على اثر إشارة معينة ويحيطون

بالمآمرين . »

المساجين : ونحن ! ونحن ! أترأكم تتركوننا هنا ؟

مصطفى : « رافعاً عموده الفقري » كنت أعرف جيداً أنهم جميعاً على اطلاع ..

حسن : « دون أن ينزل » اصغوا لمي . لدي ثلاثة أشياء أريد شرحها لكم . أولاً ، يوجد هنا جواسيس . ومعنى ذلك ان تقريراً سيقدم بالحادث ، أو أنه قد قدم بالفعل . ربما كانوا ينتظروننا عند باب الخروج . وهناك تعد الرؤوس المحترقة . في هذه الحالة سيصرعون عدداً منا ونحن بالجرم المشهود ، ليخلوا مكاناً لغيرنا . إن السجون تعج بالنزلاء . ثانياً : لدينا من الرقت ما يكاد يكفي ، والعمل لم ينته بعد . ما يزال أمامنا اجتياز الساحتين ، والسور الكبير . ان الجبل الذي نملكه قصير جداً ، فهل لديكم جبال أخرى ؟ .. ثالثاً : احذروا الضوضاء . كلٌ يخرج بدوره ، وعند ما نصبح خارجاً سنتفرق ؛ ولن يتعرف الواحد منا على الآخر .

« يشيع التردد بين الرجال . تُسمع كلمات : « إنه على حق » ، او « سيقضى علينا ثانية » ، بينما يُرى حسن وهو يختفي في السقف . ظلام . نور . قرعات صنج مديدة . لا يرى من قلب السجن إلا واجهة جدار . تسمع خطى رجال عديدين نواكبهم ثلة من الجنود . تسير القافلة محاذية جدار السجن تحت أبصار الجوقة التي تجلس القرفصاء في مقدمة المسرح ، بين الأطلال الخالدة التي تميز الجزائر . تتكون الجوقة من رجال ونساء وهي تمثل دوراً مبها . انها تحاول أن تتوارى عن أعين الجنود وتثبت وجودها بقوة وجهاً لوجه امام الجمهور .



- المنشد : مزيد من السجناء .
- الجوقة : مزيد من الجنود .
- المنشد : انهم يتجهون فبراً الى الميدان المضلع .
- الجوقة : الميدان المضلع ؟ ..
- المنشد : نعم هناك ، حيث يتم الاعدام . .
- الجوقة : الميدان المضلع ، الميدان المضلع ، الميدان المضلع .
- المنشد : لقد حسبوا كل شيء . انهم يقضون وقتهم في اتخاذ التدابير ضدنا . بان المضلع في الهندسة معاني كثيرة . .
- الجوقة : هناك ، في المكان نفسه ، حيث يجري تنفيذ الاعدام ، هناك معسكر التجميع . .
- مصطفى : « يبرز من بين الجوقة مقنعا . » هذا صحيح ، لقد كنت هناك منذ عشرة اعوام .
- المنشد : نحن اغنياء بالميادين المضلعة .
- الجوقة : هذا فضلاً عن المقابر .
- المنشد : نحن نتكلم عن الاراضي المهتلة . اما السجن . . فهو ترف ، بانتظار السلم .
- الجوقة : الميدان المضلع ، الميدان المضلع ، الميدان المضلع . .
- المنشد : « بلهجة المعلم . » كل ارض هي ميدان مضلع كل البلاد هي ميادين مضلعة مرسومة ( مسجلة ) على سطح الكرة الارضية ، هناك مضلعات منتظمة ، مسدس مثلاً كفرنسا . . . وهناك غير المنتظمة .
- « صمت ، قافلة جديدة من المساجين تجتاز المسرح . »

المنشد : مزيد من السجناء .

الجوقة : مزيد من الجنود .

المنشد : آه ! لو ان السجناء يحملون اسلحة . .

الجوقة : لو نستطيع تجريد الجنود من اسلحتهم !

« لدى هذه الكلمات ، ينفصل حسن عن الجوقة وهو

مقنع ، ويظهر سلاحاً مخبأ تحت ستوته . . »

الجوقة : « بدهشة شديدة » إنه مسلح !

حسن : هل تعرفون طاهر ؟

المنشد : طاهر ؟

الجوقة : آه ، نعم ، طاهر ، طاهر ، سي طاهر . .

المنشد : سيدي طاهر . . إنه قلب حنون ، يجد الفقراء عنده «الكسكس» (١)

كل يوم . ولكنه يقطن بعيداً لسوء الحظ . .

حسن : إذن أنتم تعرفون اين يقطن ؟

« ظلام . نور . تخفي الجوقة . حسن ومصطفى في مقدمة

المسرح بلباس ضباط من الجيش الفرنسي . . »

حسن : في الحياة ، وخاصةً في الحرب ، مع الشعب أو أمام العدو ،

يتحتم علينا أن نمثل كل الأدوار . .

مصطفى : إنك تمك حساً مسرحياً ، اما انا فلا . ان لي مشية دواب

الحرثة . .

حسن : لا تصنع البراءة . لقد ترقينا في الرتبة . سنكون في الجانب

(١) طعام مغربي معروف

الآخر ، ولكن لفترة قصيرة ريثما نقوم بزيارة سيدي طاهر .  
انه رئيس رابطة أمينة « للوطن الأم (١) » . إن ممتلكاته  
الواسعة تحرس ليلاً ونهاراً من قبل الجيش . نعم ، إننا  
سنستقبل بالتكريم اللائق برتبنا العسكرية . .

« ينتقل النور . يبدو مناوب يقوم بالحراسة . جنود  
يظهر عليهم الضجر ، والغيظ للاحقهم بالخدمة لتأمين سلامة  
احدى « الدمى » الاستعمارية . هذه الألعابة هي طاهر الذي  
يتربع وسط المسرح ، وهو يتناول فنجاناً من الشاي مع قطع  
صغيرة من الحلوى . وجهه مشرق ، أصابعه مثقلة بالخواتم ،  
عمامة ضخمة تجثم فوق رأسه . في احدى يديه مروحة ، وفي  
اليد الاخرى مسواك للاسنان . تتحرك أصابع رجليه في  
خف ناعم . يبدو هادئاً مطمئناً ، يوحى بالوجاهة . إذا  
تعب من المروحة او ضاق ذرعاً بالمسواك لجأ من وقت لآخر  
الى المسبحة تحت عين الجنود الساخرة . تمر فترة تتوضع فيها  
شخصية طاهر بكل سماتها . ثم يدخل حسن ومصطفى .  
تؤدى لهما التحية العسكرية من قبل ثلة الجنود الواقفين في  
وضع التهيؤ . يتجهان رأساً الى طاهر الذي يهبط واقفاً .

حسن ومصطفى « يسلمان » : سيدي الرئيس .

طاهر : « يجيب بكلتا يديه . » سيدي الكولونيل . . سيدي الكومندان . .  
مصطفى : اننا بحاجة اليك لأمر عاجل . نحن في اجتماع في غرفة الوالي  
لاعداد الانتخابات .

---

(١) اشارة الى فرنسا . « المترجمة » .

صاهر : « متلمظاً . » آه ، نعم ، هذا .. صحيح انها الانتخابات ..  
حسن : انت رجلنا ..

مصطفى : تفضل بسرعة ، العربية في انتظارنا .

طاهر : « متظاهراً بالحجل » سيدي الكولونيل ، سيدي الكومندان ..  
« ظلام . نور . المسرح خالي . يدخل حسن  
ومصطفى وهما يدفعان طاهر امامهما . »

حسن : امشِ ، او انفق (١) ..

مصطفى : يمكننا التوقف هنا ..

طاهر : سيدي الكولونيل .. سيدي الكومندان ..

« يتوقفون ، حسن يدير الاستجواب ، مصطفى يقوم

بالحراسة . »

حسن : لنبدأ من البداية . يُقال انك تعرف كثيراً من النساء .

طاهر : « يعاوده الاطمئنان » انها اذن قصة نساء ؟

حسن : هناك واحدة تهمننا نحن الثلاثة . انظر الي جيداً ..

« عند هذه الكلمات يرمي حسن قبعته ، ويتبعه

مصطفى . يبقى طاهر مهوئاً لحظة . ثم يأخذ في التلاوة

وهو يرتجف . »

طاهر : لا اله الا الله .. محمد رسول الله ..

حسن : ستقوم بصلاتك فيما بعد . حدثنا عن هذه المرأة .

مصطفى : لا تتعب نفسك بالكذب ؛ نحن نعرف ..

طاهر : سي حسن ، سي مصطفى ، يا اولادي !

---

(١) نقت الدابة : هلك .

حسن : بلا تدجيل . . انا نستطيع أن نقودك دائماً من انك انت  
وامثالك بقبعة وشارة عسكرية . بالمناسبة . .

« يقرب حسن من طاهر ويستل مديته » يعترضه

مصطفى . .

حسن : لن تبدد الذخيرة سدى ، فاما ان نذبحه او ان نشوهه .  
تذكر الأخطر !

مصطفى : انني اتذكر . لقد كان معنا ، في اول مرة سجننا فيها انا  
والأخطر ، شخص جدع انفه في قضية شرف . ( ان  
الشعب يسمي الأنف دائماً في لغته العامية عضو الشرف ، او  
النيف كما يلفظونه . ) ولكن جدع الأنف لم يغير منه  
شيئاً . لقد بقي دوماً بنفس الدناءة ، لم يتطرق اليه الندم  
بسبب تبرير حقه في المرة السابقة وانطلق يتمرغ في الوحل  
باحثاً عن قذارة جديدة .

أتعرف لماذا كان هناك في السجن ، مع المناضلين ؟  
لقد سجن لأنه قتل طفلاً يهودياً عمره ثلاثة عشر عاماً .  
كان هذا اليهودي رفيقي ورفيق الأخطر في الطفولة . كان  
القدر يعتقد انه ، بهذه الفعلة ، سيسترد اعتباره . . اذ من  
العسير استرداد انفه المجدوع .

ستقول لي : عقاب هزيل . لم يكن لأحد أمل في  
تغيير هذا الوغد . كانوا يريدون ان يجعلوه عبرة . ولكن  
للشعب حاسة شم قوية . انه سيدرك بفطرته عاجلاً او آجلاً



انا قد اضعنا وقتنا . اذا لم يكن للخونة انوف ، فلم اذا  
نحرمهم مما لا يملكون ؟  
حسن : ماراك في النهاية إلا واعظاً بالعفو التام على ذكرى هذا  
اليهودي الصغير !

مصطفى : دعني استجوبه .  
طاهر : « يذرف الدموع » آه ، يا ولدي !

مصطفى : هذه المرأة .. هل رأيتها بعد ذلك .

طاهر : « مسيراً » من زمن بعيد .. بعيداً جداً ..

مصطفى : اين هي ؟

طاهر : والله .. لا اعرف . كونوا انسانيين ..

حسن : انه سينتهي باعطائنا درساً في الاخلاق .

مصطفى : اين هي ؟

طاهر : لا ادري ، لا ادري ، ورأس ابني !

حسن : اي ابن ؟

طاهر : « مستدركا » الأصغر ..

« يفتح حسن مديته .. »

طاهر : انها امرأة غريبة . يقولون انها عاشت في فرنسا ، في حانة ،

تأمرت وعاشت هنا مع زنجي ..

مصطفى : أكمل !

طاهر : اما الآن فانها تحشر نفسها مع ابنها ، وهو « شقي » صغير في

احد الوديان ..

مصطفى : وادٍ ؟

طاهر : انهم يطلقون عليه وادي المرأة المتوحشة . نعم انهم يروون اشياء كثيرة . يقولون انها قد أهلت عقاباً .

حسن : عاد يظننا طفلاتٍ صغيرات .

طاهر : « منساقاً ببساطته القذرة ، ولكنها بساطة حقيقية ، اساسية »  
!سألوا ! سيقصون عليكم قصة العقاب الذي يأتي لرؤيتها ،  
والذي اطلقت عليه اسمه ..

مصطفى : اسم من ؟

طاهر : « قلقاً ، كأنما تكلم اكثر مما يجب » اسم ...

مصطفى : « يشهر سلاحه » اي اسم ؟ ..

طاهر : « أقرب الى الموت منه الى الحياة » الأخضر !

« عند هذه الكلمة يطلق مصطفى النار . يهوي طاهر صريعاً »

حسن : مرحى ! لقد خلقتني بعيداً الى الراء . انا أفهم ذلك . لقد اردت ان تتأثر للأخضر بيدك . ولكنك ستندم على هذه الرصاصة .

« ظلام . قرعات صنج مديدة . نور . تستمر الحركة

دون توقف ، في ظل شجرة يرتقال بربة تعطي ثمارها الأرض ،

وتعطي جو المكان المفجع طابعه المتآخي ، تقف امرأة

مشعثة الشعر ، حافية القدمين ، لا تترك خمارها الاسود بحيث

لا يمكن تمييز للاحها الا بصورة خاطفة ، عندما تهتاج » .

جوقة الصبايا : « تدخل المسرح » هاهي ذي .. هاهي ذي !

المنشدة : ها هي ، شجرة البرتقال !

الجوقة : نعم ، ها هي شجرة البرتقال ، ذات الثمار المزهرة .. انها الحصب  
العقيم لهذا البلد .

المنشدة : « مشيرة الى المرأة » وها هي ذي بذاتها . انها ما تزال تحت  
سيطرة الشيطان .

الجوقة : « تنشد »

ها بنا نحج

الى وادي المرأة المتوحشة .

المرأة المتوحشة : « منتفضة »

ماذا ترذفَ مني ؟

المنشدة : نحن وحيدات .

الجوقة : نحن وحيدات .

الرجال في الحرب ،

كلهم في الحرب ، او في السجن ، او في المنفى !

المرأة المتوحشة : « تفكر » وحيدات ، لقد كنا دائماً كذلك ..

ولكننا الآن وصلنا الى نهاية الحساب

وهذه هي اللحظة الحاسمة التي لا تعود

الجوقة : آه ، نعم ، حديثنا ، تكلمي !

المنشدة : نحن وحيدات ، قولي لنا ماذا تحدثك به وحدتك !

المرأة المتوحشة : انها اللحظة الحاسمة التي لا تعود ، انها الحرب ، لننتزع

حريتنا ..

المنشدة : « بوجل » حريتنا . . .  
الجوقة ابداً « بمجاسة » نعم ، نعم ،  
المرأة المتوحشة : لقد آن أن نضيف الضراوة الى اميزتنا الاثنتين :

لنسير نحن أيضاً الى القتال .

« فترة » ، المرأة المتوحشة تثبت بصرها في نقطة ما من  
الفضاء . تبدو وكأنها تنتظر إشارة .  
بالحوارق ، تتعلق بنظرها .

المرأة المتوحشة : هل انتن على استعداد ؟ أترذن أسلحة ؟  
المنشدة : « بقلق » أسلحة ؟

الجوقة : « بهياج » نعم ، أسلحة . . .  
المرأة المتوحشة : أنظرن ! « تشير الى صورة عقاب في صدر المسرح يحوم

على واجهة جدار يقوم مقام الشاشة . »  
الجوقة : العقاب ، العقاب .

المرأة المتوحشة : حيث يحوم العقاب ، تكون ساحة الجثث غير بعيدة ،  
وحيث ترقد الجثث ترقد الأسلحة .

« فترة » ، ظلام مطلق ، لا يرى إلا العقاب الذي يحوم  
في دوائر كبيرة على الشاشة . ثم يسمع صوت رزين بعيد ،

تفضل بين عباراته قرعات الصنوج .  
العقاب : أيتها الصبايا ، انكن لا نستطعن سماعي .

وأنا لا أقوى على الكلام .  
هذا القلب الفولاذي الذي يتحطم .

قد فقدت مفتاحه

٤

بين يدي هذه الساحرة التي تحرضكن .

لكم كانت ماهرة في التلاعب بصيري !

لا أستطيع ان اقول

كم يكون الموت في الحب عطوفاً

لا ينبغي تعجلُ الخطى مع العذارى .

ولكن مادمت ذاهبات الى المذبحة

فاني لا أستطيع ، انا العقاب ،

أن أحوّل لكن عما ترذّن .

سأسهر ، لأختطفكن من ثعبان القبر .

من جليد العلم في مسرحية الجثث المجهولة .

وآمل ان أنقض قريباً على المتوحشة ، بعد ان أخلص

من الاجنحة التي توهني .

حينئذ ، لن أضطر للنهوض .

بعد ان اكون قد انتزعتُ نفسها الأخير .

هكذا كانت ، وهكذا ستبقى الخائفة الوحيدة التي

أرغب فيها ..

طقس معجز ، عرائسي وجنازي

حيث ترادُّ الروح الى الختفي

وتولد الأرملة من جديد .

« فترة . نور ضعيف على الجوقة الخائفة التي تهمس . »

المنشدة : ما أغرب هذا الطائر !

الجوقة : لم نزه عن قرب مثل اليوم .



« يزداد الخوف بين جوقة الصبايا اللواتي يتزاحمن حول  
المرأة المتوحشة الصامتة ، والتي تبدو كأنها غائبة تحت شجرة  
البرتقال . »

العُقَاب : وا أسفاه ! عبثاً أحاولُ ان احتفظ بإبعادي الشاسعة .

وان أبقى في لغزي .

لني أوحى بالرعب .

لماذا لا نستطيع ونحن على الكوكب نفسه ان نشعر  
شعوراً مشتركاً بالسفر الخليط .

الجوقة : « تتوقب كلمة من المرأة المتوحشة . »

ما أغرب هذا الطائر ! ما أغرب هذا الطائر !

الموأة المتوحشة : « تضحك بعصية »

انه يأتي من الشرق ، ويستقر في الغرب ، ذلك اللغز الشمسي

الصحراء مَمْقُرَه الطبيعي .

وهو الى ذلك نَحَات كَير للهاكل العظيمة . ان

العقاب الأسود ، والأبيض يعد نفسه فناً ..

العُقَاب : لايهمني اذا فاتكن سماعي فستلقين عن طريق صوت آخر

جواني الذي يحمل على اليأس . أيتها الصبايا ، أيتها الصبايا

المفتونات ! هديتي اليكن ان أُسَلَمَ ذاكرتي للذبول ، لأجلكن

أيتها العذارى اللواتي جعلتكن الحرب ، والمنفى ، وحيدات

لكي تستطيع الأسطورة ان تنزع الملح من ابتساماتكن

الجاحدة . الملح الذي يهب الجرح طعمَ القوة .

أريد ان اقترب منكن امام تلك « المنزوية » وتحت

بصرها الجارح . وفي عصفه الرياح .

نعم ، هاأنذاك أهبط قابلاً للتجريح بشكل ساخر .  
وقد تسربت في من كل الجهات اضعف افكارها . تسربت  
في زهراً وجذراً .

وهاأنذا استيقظ ، وقد التصقنا معاً كزوجين لا ينفصمان .

كل منا يمضي ليليه في احلام الآخر .

« أثناء هذه النجوى ، لا يتوقف العقاب عن التحويم .

ترفع المرأة المتوحشة عينها اليه متأثرة بما قال . وهي تظهر  
علامات اضطراب . يعكس العقاب ظله الضخم عند المقطع  
الأخير على الشاشة ، واجنحته مبسوطه . »

الجوقة : « مشدوهة » العُقَاب ، العُقَاب ، إنه يهبط .

المنشدة : إنه يتردد في الهبوط .

الجوقة : انه يتردد ايضاً في الابتعاد .

المنشدة : « بسخرية مصطنعة » لقد عبَّ كثيراً من الأثير .

« ظلام مطبق يلف كل شيء حتى الشاشة . لا يرى

اي شيء . »

العُقَاب : من بين جميع النشوات . . أعرف النشوة الطاغية ، القاتلة .

ولكنني أعود الى النجمة المظلمة أفضي اليها بشكوكي .

وأزجر غير مفهوم نحو تلك التي لا يفهمها أحد ،

كما يكتشف المرء ضحية ظننها ميتة

وكما يتنفس المرء في العناق دماً حاراً خيفاً بشدة قربه

وكان المرء في الالتحام الجسدي ، يحس انه قد افترس

نفسه في فم آخر .

« فترة . قرعات صنج . أنوار تسلط بقسوة على المرأة

المتوحشة الراكعة التي تبدو أشد انطواءً على نفسها في خمارها

الأسود ، وسط الصبايا المضطربات . تنهض أخيراً وتصب لعناتها

على العقاب رغم ان صورته لم تعد تُرَى على الشاشة . »

المرأة المتوحشة : كلا . أنا لا أبكي .

لقد امضى حياته كقاطع طريق

كقاطع طريق فتاك .

لقد عاد خياله

وهو يهيم على وجهه من جديد في حوية مؤقتة .

لقد كسر كثيراً من الزنانات ولم يفعل شيئاً سوى

الهرب .

مغادراً قبره كما كان يغادر سجنه من قبل ، مضاعفاً

دائماً عقوبته .

إن رأسه يتدحرج في قلبي محدثاً ضجيج سقوط ابدي

نعم ، إن هذا الحجر الوحيد يكفي لرجمي .

إن جرماً من اجرام السماء يمسي ويرجمني .

انه هو ، انه هو دائماً يعود الى فضاءه المنيع الذي

لا يناله فيه قصاص .

انه يثيرني في ظل وطن الأموات .

وكل ألوان الشؤم تأتي منه ، من هناك ...

جوقة العذارى : في ظل وطن الأموات ، بينما « منه رويد  
كبير . »

العقاب : لم يعد هناك حب ، لم يبق هناك أحد ، لم يبق للإنسان إلا  
رسول الأجداد .

جوقة العذارى : تهرب دون أن تغادر المسرح ،  
بطائر الموت . رسول الأجداد .

المرأة المتوحشة : « بتوسل » أيها العقاب ، متابعتة من هنا .

العقاب : آه ، لو لم يرسلني قبوت القديم ، جسدنا المشترك ، لكنت  
وضعت حداً لهذا الاخلاص اثناء القراق الذي يشير السخرية .  
ولكن ، على أن أقدم حساباً عن إحدى الجثث ، وأعيد  
الأرملة إلى القبيلة ، وأدأها على الطريق المشؤوم الذي يجازي  
ساحة الجثث ، وهو يتجه نحو معارة القبوت وتكل من يلود  
به . الويل لها إذا ما تأخرت ! أنها ستجد هناك أكثر من  
عشيق ، وأكثر من اخ ، وستتلقم الحصام آنذاك ويتصاعد  
حتى الأجداد ، حتى قبوت الراقد في قبره ، حتى الكارثة .  
أما أنا ، وقد فتنت ، فسوف اتقمص دور العشيق . وها  
اني امدد قيدي الطويل من جديد . بعد ان وددت بمرارة إلى  
الحياة ، هادماً حتى اللانهاية تلك الصورة النهائية العزيرة .  
أنا لي قلب أيضاً . إنني كطائر املك قلباً ثقيلاً ، وبما  
ان النار تهددني فمن الممكن ان انفجر . وأنا في حومة الطيران ،  
حتى ولو اختطفني دوار الجوش ، ذلك الشيخ الضاري ، من

يدي هذه « العنيدة » والقاني بعيداً ..

جوقة العذارى : « تدور في حلقة ، هازئة بالعقاب » دوار الجو ، دوار  
الحب ، دوار الجو لادواء له .

المرأة المتوحشة : « مذعورة » ابتعد ايها العقاب ، انا أعرف ، انا أعرف أنك  
الاخضر القديم . انت الحيوان الهائل الغريب الذي اقتات من جثته .  
أنت طائر الاجداد ، نبع الدم الأسود .. انت الطائر النهم  
المطهر الذي جعل غذاءه من جث قبيلتنا كلها . انت الاخضر  
القديم ، الجثة المطوقة ، التي يحوم طيفها كروح تبحث عن  
جسد آخر ...

العقاب : « ينحط قليلاً من علوه » هذا الجسد الحي هو أنت .  
جوقة العذارى : « مبتعدة »

أي ميثاق يربط هذه المتوحشة بطائر الموت !  
المرأة المتوحشة : من طول ما مكثت وحيدة ، تعلمت  
في حالات ذعري ،  
لغة الأشباح .

وفي انتظار عودته ، تعودت  
الرعب ، والشك ..

انه يجب أن يتنكر ..

كالكحول الذي يلعب بالرؤوس  
يعرف أن يسير في الأوردة  
التي سوّدها بضلاله .

انه يعرف ان يشرب معي



وينازعني سُمَّه .

لم يدع لي شيئاً .

إن طفله اليتيم ، مثله ، شبَّحُ مصغراً يذرع الطرقات ..

لم يبق لي منه أدنى تذكُّار .

العُقَاب : أنا الذي فقدتُ بَصْرِي ، لا أعرف من ينيرني .

أنا الذي تعذبني تلك المتوحشة بصمتها .

لم أعد أعرف كيف أختفي ، ولا كيف أفرض رأبي .

قولوا لي : هل أنا ميتٌ حقاً ؟

لقد حاولتُ عَبَثاً أن اطير . أن شبَّحي يعيث في دم

المرأة المترحشة ، وأنا سكران ، سكران كما لم أكن في

أي وقت آخر .

لم أحسَّ الحزنَ في خمرتي يوماً كما أحسه الآن .

حقاً أيتها الصبايا .. اني ابلغ بنشوتي الأثير .

إن الفصول نفسها ، بعد خريف غاصب كهذا ،

لم تعد تعرف كيف تتعاقب إلا في موكب فاجع ..

لا بنفسج متوجعاً ، يبقى عطره كهطرها على الدهر .

اني اتهم بشدة ، كما تتهم هي ، كل تلك الدموع ..

دموعها التي لا عدد لها ..

ماسات العين التي تخلد في سهامها .

سواء بكت لحرمانها من الفريسة ،

كما يفعل القَرَس ؟

أم لأنها تتصاعد في كاجئة !

الجوقة : انه ينحط من عليائه . لقد عب كثيراً من الأثير ، ذلك العقاب الأسرد ، الأبيض .

العقاب : ايها الصبايا ، شريكات المتوحشة في نظراتها المجنونة .

ايها المنسيات في منفاها المدوي .

اتراني ارى جمالاً أشد سوءاً منكن في طريق العودة ؟

أسرف ارى المترددة تحدد مطالبها ؟

ولكن ماذا يجدي البعث لمن سيموت !

على عتبة جنة مظلمة يرقبنا الشقاء القديم .

ما اكثر الذين طعنوا بالخنجر .

بين اولئك الذين خاطروا بأنفسهم .

ليروا « الارض الموعودة » !!

ولكن هذا الخنجر هو مفتاح « اللقايا » ..

« فترة .. ينخفض النور . رجلان متسكران يسيران

متمسحين بواجهة الجدار ، ويحجبان اثناء روقوفها صررة العقاب .

يلقيان اسلحةً باتجاه الجوقة . وبالمقابل ، تلقي الصبايا بجوهراتهن ،

كدليل على التعاقد ويأخذن الاسلحة . »

المنشدة : المجد ، المجد لكم ، ايها المحاربون الذين يحجرون النساء !

الجوقة : المجد لكم ، يا من تحسون آلام اللواتي يحتبئن للوضع ،

ويلقين بجوهراتهن ،

ليشاركن في القتال .

« عند هذه الكلمات تتجمع الصبايا بنظام ، متهيئات  
للسير ، ملتفتات نحو المرأة المتوحشة التي يبدو عليها التردد ،  
وهي معلقة البصر بصورة العقاب التي عادت الى الشاشة . لم  
يعد الرجلان المتسكران يحولان بينها وبين الصورة . لقد  
انسجا خلصةً بمحاذاة الجدار . »

العقاب : اذهبي ، التقطي قمل الشعب باصابعك الحانية .. واذهي  
فكدري نومه من قبل حارسه .

المرأة المتوحشة : « تتقدم المجموعة »

ساذجةٌ ، أساحتنا .. ولكنها مخيفة ، مخيفةٌ كالشعب  
الذي يندفع وقد ادركته النبوءة ، نعم ، سنغسل الهزيمة الطويلة ..  
وارضنا التي عادت الى الطفولة ستشتعل فيها حيوتها  
القديمة من جديد .

المنشدة : في كل مكان من وطننا تنتزع الارض وتحرر .

حتى الجثث

تسحب الارض اليها لتجعل منها دثاراً لها .  
وعما قريب ..

لن يجد اولئك الذين يظنون انفسهم احياء  
اولئك الذين يعيشون على ظهورنا ،  
لن يجدوا مكاناً يوقدون فيه .

« تأخذ المجموعة مكانها رويداً رويداً على السطح الدائر .

وتبدأ المسير ، وهي ما تزال تنشد نشيد القتال . »

المنشدة : « مطوية تحت عبء بندقيتها »

نحن اللواتي نتلقى في المقدمة  
كل الضربات من أي مكان جاءت .  
هذه الحملة القاتلة تثقل علينا ، ويتحتم علينا  
ان نحيا .

إننا نحمل معنا موكب القتل الطويل .  
كحربة تضطرب في صدورنا .

« طلقات نارية تشير الى ان القتال قريب جداً .  
يندفع رجال على المسرح يثبت من شاراتهم أنهم من  
جنود جيش التحرير الوطني . الرجال والنساء يتعانقون ، وهم  
يتبادلون ستائم الرعابة والمزاح . »

المنشد : « رجل »

سلام عليك ، أيها الجيش الصغير ، الذي يضم العيون الكبيرة السوداء .

المنشدة : « صبية »

سلام عليكم ، أيها السادة قطاع الطرق  
اراكم مملون دور الدرك ؟

« فترة . ينتهي الترحيب . يعود الفريقان الى السير

كل مجموعة على حدة ، يصبح صوت الجوقة من هنا وهناك  
رزيناً وقوراً . »

جوقة الصبايا : لاتأملوا بعد اليوم في وقفة اجمل من هذه على الطريق .

بأعينكم انتم سيرى الوطن النور .

دربونا على ان نميز اهدافنا بين الكواكب ، وفي الادغال ،

حيث يبلغ وهج الصيف ذروته .

المنشد : « الرجل »

هل تردن الانضمام إلينا ؟

المنشدة : « الفتاة »

في ساعة الفداء

جمعتنا الامة بشجاعة

« ينضم الفريقان بسرعة ، ويبدأون في السير . »

الجوقة : « الرجال والنساء على التوالي . »

وأخيراً ، فان العالقة القادمين من الغابات قد ألقوا في

النار الغلال المزيفة .

« يجتازون المسرح ، وينخفض النور . تسمع طلقات

نارية ، تقرب اكثر فأكثر .

صيحات وتنهيدات ، صوت يردد من وقت لآخر كحكم

قاطع هذه الجملة البسيطة : « هذه هي الحرب . » تعيدها

الجوقة . وأخيراً ، يخو المسرح . فترة . قرعات صنج

مديدة . حسن ومصطفى اللذان عادا الى التنكر لا يزالان

يذرعان المسرح يمثلان السير في الصحراء . »

مصطفى : الشيء نفسه يتكرر دائماً . هؤلاء الثوارون الدائمون ما ينفكون

يرددون بأن الحرب قد انتهت . يحكون ذلك في المقاهي .

حسن : لا أهمية لذلك . لقد رأى شعبنا الكثير منهم . إنه يعرف

بأن حرباً ، كحربنا هذه ، ما دامت لم تتوقف في يوم من

الأيام فانها لن تنتهي أبداً .

مصطفى : في هذه الصحراء حيث لا يملك شيئاً ، حيث لا ملجأ يحمينا ،



حيث لا تساوي أساليب القتال التي نستخدمها شيئاً ، ذلك  
لأننا نضطر للقتال في أرض مكشوفة عارية ،  
وينتشر جيشٌ في وِضَحِ النهار أمام جيشٍ آخر . في هذه  
الصحراء التي لا تساوي فيها شيئاً ، والتي لم تقوَ أية امبراطورية  
على أن تترك فيها أثراً .. لن نستطيع أية قوة أن تهربنا  
بعد الآن ، ولا أن تبذر فينا الفساد .

إن من تحمّل قنابل شمس الظهيرة لم يعد يخشى حملة  
البَعُوض .

حسن : أليس من أخبار أخرى ؟

مصطفى : لا جديد . لقد شاهد بعضُ البدو الرحّل في الغرب ، قرب  
الحدود ، امرأةً محجّبةً بالسواد ، مع نساءٍ أُخَرَ . كُنَّ  
يتبعن قافلةً . إنني أعيد عليك ما سمعت ، دون أن أضيف شيئاً .

حسن : وهذه القافلة .. هل اجتازت الحدود ؟

مصطفى : من المحتمل .

حسن : لقد أخطأنا إذ تركناهن دون حماية . إن المغرب الكبير لم  
يتحقق بعد .

مصطفى : تربطنا مع السلطان معاهدة ، لا يستطيع جيش السلطان  
تجاهلها .

حسن : لا تنسَ أن عبد القادر (١) قد غُدِرَ به ، وسلّمَ عند  
الحدود .

مصطفى : إن سلطان اليوم غيره بالأمس .

حسن : ليس عليك إلا أن تقرأ الجرائد .

---

(١) إشارة إلى الأمير عبد القادر الجزائري . « المترجمة » .

مصطفى : لست من الذين يقرأون بين السطور .

« فترة . يغادر حسن ومصطفى المسرح . ينعكس النور

من جديد على واجهة الجدار التي تقوم مقام الشاشة حيث يحوم

العقاب ، ثم على قافلة من النساء يقودها محارب قديم ،

تُعرَف بينهن المرأة المتوحشة من خمارها الاسود . »

المحارب القديم : « عيناه مثبتتان على الشاشة . » ابتعد أيها العقاب .

لسنا شيئاً بالنسبة لك ، ولست شيئاً بالنسبة لنا ..

أيها العقاب ، دع عنك ملاحظتنا ..

ليس فينا من هو مُعدٌّ للموت ..

ابتعد ، أيها العقاب .

« يحوم العقاب ، يستمر في التحويم على الشاشة . »

المحارب القديم : « بنفس الدير ، وهو يشير الى الصبايا . »

لتُسْفِر كل الصبايا عن وجوههن .. أنظر أيها الطائر

اللعين انظر إن حسان الحرب هذه مخصصات للجيش الملكي .

ينبغي ان نحسن مكافأة رجالنا على اخلاصهم في هذه الأوقات

العصية . أما هذه التي هي أسدهن تعقيداً « يشير الى المرأة

المتوحشة . » فدعولي أمرها . لقد روّجت فيما مضى مهرات

أسد شماساً منها . لا ، ليس في قافلتى شيء لك أيها العقاب ،

أيها الطائر اللعين . ابتعد عن طريقي ..

« ينفجر المحارب في الضحك ، مرتاحاً الى دعابته الفظة

المتبذلة ، أما العقاب فيظل يحوم ، في حين يتضاءل النور ، وتخم

القافلة لقضاء الليلة . وتحت جناح الغسق يقترب حسن ومصطفى

بصت . بينما يراقب حسن المحارب ، وفي الوقت المناسب يطعنه  
بهدوء ، دون ان يتحرك له وقتاً للتهدد . يتقدم مصطفى نحو  
المرأة المتوحشة الممددة على الأرض . تطلق صرخة قوية لدى  
رؤيته . تستيقظ الصبايا منتفضات ، ويتبعثن وهن يدسن  
على جسد المحارب ، ينزع حسن قناعه ويعمل جاهداً لتهدئتهن ،  
يجرهن نحو الكواليس . يبقى مصطفى وحده مع المرأة  
المتوحشة التي يبدو عليها عدم الشعور بوجوده ، حتى بعد ان  
ينزع قناعه عنه ، تثبت بصرها محدقة بواجهة الجدار التي تضاء  
فجأةً ويظهر عليها العقاب بحجم كبير . العقاب يصفق بأجنحته  
بشدة أمام هذه الخلوة التي لا يستطيع التدخل فيها .

المرأة المتوحشة : أخضر ، أخضر ! أنقذني ، اخطفني ..

لا أريد ان أقع في قبضة السلطان .

الذي خان جدّه جدّاً .

نعم ، تذكرُ عبد القادر الذي غدر به ، بعد سبعة عشر

عاماً من الكفاح .

ذلك السلطانُ الذي اصابته الغيرة من انتصاراتنا نعم ،

انه السلطان القديم

الذي يُطلق وريثه اليوم كلابه في أعقابنا .

إنه يستغل حدادنا ، كما يستغل فرصة الحرب ليتاجر بصحرائنا ،

على رفات شهدائنا بعد أن سلّم للعدو أصابع يدنا الخمس نعم

قادتنا الخمسة الذين حبسوا بخطئه . نعم تذكر ذلك يا أخضر !

مصطفى : « على انفراد » ها أنذا أسمع ما يجلو ذاكرتي . إنها تنادي الأخضر .

أما أنا ، فلا اسم لي ، لقد اختفيت حقاً .  
ليس عليّ إلا أن أعود إلى التنكر .  
ولكي لا يستمر شيء مما كان ،  
لكي لا يعرف المحراب غير زيارة الأفاعي .  
يجب أن ألاحق امرأة أعز أصدقائي .  
وعليّ أنا الطريد أن أسمع صوتي دائماً  
عليّ أن أدنّس آثار الصديق

أن أزعج « الهاربة » ، وحتى لكي أحميها ، عليّ أن  
ألبس القناع .

« ظلام . نور . حسن ومصطفى والمرأة المتوحشة والجوقة  
يبحثون جميعاً عن طريق في الصحراء . خلال سيرهم الطويل  
تسقط الصبايا منهكات . تبقى احداهن واقفة . انها هي  
التي تمثل دير المنشدة .

لقد أعدت للشعور الكامل بالمأساة . انها تقص قبل أن  
تتهاوى بدورها في مقدمة المسرح قصة الثلاثي التائه في  
الصحراء :

حسن ، ومصطفى ، والمرأة المترحشة الذين ، اثناء  
حديثها ، يتصرفون وفقاً لما تكشفه وبتناسق تام ، لأن  
حركاتهم يجب أن تبقى صامتة لتأخذ طابعاً بارزاً .

المنشدة : انهم يسرون بعد الاختطاف

يسرون ، ثلاثتهم معاً .

يطاردهم الجيش .

« طلقات نارية »

بلا ماء ، بلا خبز ، بلا ذخيرة . .  
يوصلون السير حتى يغيبوا عن الرشد .  
وان هذيان الصديقين  
بجذور المرأة المتوحشة  
سيثيرُ المنافسة بينهما .

« تفقد المرأة المتوحشة خمارها . لا تجد لديها القوة  
لاستعادته . يتجلى عندئذ جمالها على أمه . »

تقول نظراتها : ما أجملَ الموت  
في غيبوبةٍ أخرى . يالها من غيبوبةٍ معزية !  
« يتعرفان على نجمة »

ما أجمل الانطفاءَ بين ذراعي  
المرأة !

أما هي ، فانها تبدو أشد توحشاً من أي وقت مضى ،  
وهاهي ذي تمشي على انفراد ، في وهج الشمس .  
ملأى بالعطرسة والتحدي .

وفي الظلام مشيرة الى رحابة ميدانهم المضع  
المزروع بالنجوم . .

نعم ، انها تمشي ، ولكن على انفراد ، وتدور المأساة  
على غير علم منها .

« تمر فترة . يرى حسن ومصطفى يتوقفان وجهاً لوجه . »

المنشدة : « تسرع في إيقاعها »

بنفس النظرة ، يصعق كل من الصديقين الآخر .



لقد أدرك كلٌّ منها أن أحدهما يجب ان يسقط ،  
ويجمدان على الرمال كصخرتين .  
ولكن هذا التحدي ليس سوى وداع  
واعتراف صداقة اظلمت وهي في اوجها  
ثم بين الدموع ، نعم بين الدموع  
أطلقا النار في وقت واحد ..  
بين الدموع ..

« يطلق حسن ومصطفى النار كل منها على الآخر .  
يسقط حسن . لم تدرك المرأة المتوحشة ، التي كانت تسير  
على انفراد ، شيئاً من هذا المشهد الذي مر كالمحجة  
البوق . وحين ينهبها صوت الطلقات النارية تلتفت وتهوي  
امام جسد حسن . »

المنسدة : لقد صرعت بشكل لا يصدق كلنا بصدى دوي الانفجار  
لقد انحنت المرأة المتوحشة  
لقد جثت على ركبتيها .

« فترة . يعالج مصطفى مسدسه الفارغ بمنق شديد .  
ثم يتناول المسدس الذي سقط من يد حسن فيرميه أرضاً  
بنفس الحنق الشديد . لانه لم تبق فيها اية رصاصة . يتأمل  
مصطفى طويلاً الجسدين والسلاحين المطروحين على الرمال ..  
بينما تعود صورة العقاب الى الظهور في حجم ضخم . »

المنسدة : إنها ساعة العقاب

إن الذي بقي على قيد الحياة لن يستطيع شيئاً .

لن يستطيع حتى أن يدير  
أسلحة الموت الى صدره .

يا لئسخرية التي تنتظر  
من ضيِّع رصاصةً

لقتل خائن ! بينما كان يكفيه أن يجدعَ أنفه .

هذا التاميد ، هذا المبتدئ ترك على ظهره قتيلين .

حينما انتقم لصديق صرع صديقاً آخر ، ولما ينته بعد .

الجوقة : إنها ساعة العقاب

المنشدة : في كل حرب يقتل الإخوة .

كل حرب حقيقية تعيد الى ذاكرتنا

أكلة لحوم البشر الذين يتزوجون محارمهم .

الجوقة : بلى ، إن كل حرب تشبه حرب الاغريق من أجل هيلين .

إن أقصر طريق بين الحب والموت هي الحرب .

المنشدة : ومها عدنا بعيداً الى الوراء ، لانرى إلا امرأة متوحشة ،

دأبها افتراس الرجال ، بلا حقد ، ولا رحمة ،

ويظل اختيارها بين الحياة والموت غامضاً .

إنها ترجع بنسبها الى قبيلة النسر ، والعقاب .

« قرعات صنج . يضعف النور . ترى مجموعة من

الشيوخ تتجه الى مقدمة المسرح حاملةً لافتةً يمكن أن يُقرأ

عليها بأحرف بارزة :

« اللجنة المركزية للأجداد . »

ظلام . .

جوقة الأجداد : « في العتمة »

نحن الأجداد ، نحن الذين نعيش في الماضي .  
نحن أقوى كل الحشود .  
إن عددنا يزداد بلا انقطاع .  
ونحن ما نزال بانتظار المزيد من المَدَد ، لكي تتمكن  
أن نفرضَ ثقلنا على هذا الكوكب ، ونملي عليه  
شرائعنا .

نحن اللجنة المركزية للأجداد  
يمرُّ ببالنا من حين لآخر ان نتحدث الى الأرض ،  
ونقول لأولادنا : تشجعوا !

اتخذوا لكم مكاناً في مراكب الموت .  
تعالوا ، التحقوا بدوركم ( بأرمادا ) الأجداد ،  
إنها على وشك ان تستولي على الزمان ، والمكان . .  
ولكن الأحياء لا يعرفون كيف يحيون ، ولا كيف  
يموتون .

انهم لا يفكرون ابداً بالأجداد  
المائلين أبداً فوق رؤوسهم .  
على ان من يصغي جيداً لا يفوته ان يسمع .  
ان من لا يخشى النظر الى الفراغ سيبرى كيف تكبر  
النقطة السوداء التي تلازمه .  
لقد اخترنا العقاب  
اخترناه ذكراً موثقاً .  
ليحمل رسائلنا . .

نعم ، اخترنا العُقَاب . ان مجرد مروره هو حكم بالاعدام .  
انه يخلق فوق حشرجتكم ماضياً في تأملاته البعيدة التي  
لا تعرف الهدوء .

المنشدة : « في العتمة »

إنها ساعة العُقَاب .

« عند هذه الكلمات ، ترسم على الشاشة ، تحت صورة  
العُقَاب ، صورة صف من جنود العدو الذين يتفحصون  
الآفاق ، قرعات صنج مديدة » .

المنشدة : ادى رؤية الجنود ، والعُقَاب الذي يحوم .

يعود الى مصطفى صفاء ذهنه

انه يتذكر أن حسن كان يملك مديّة .

فيبحثُ عنها في جيوب ضحيته .

ولكن ، ماذا يستطيع السلاح الأبيض هنا ؟

انه لا يستطيع الرد على رساشات فوج كامل

سينتشر حولنا في نصف دائرة .

ليس من وسيلة للهرب او المراوغة .

في هذا الفضاء الشاسع من النور والرمال

لم يبق الا هجوم اليأس

ولكن مصطفى لا يستطيع أن يجازف بمصير المرأة

التي يجيها .

انه لا يستطيع ان يتركها وشأنها

لا يستطيع ، ايقاظها ، وانتزاعها من العقاب

لايستطيع الدفاع عنها امام المهاجمين  
كما لا يستطيع ان يدعن لفكرة القتل

« ظلمة على الشاشة ينتقل النور . يقترب مصطفى ،  
والمدية في يده ، من المرأة المتوحشة التي تقبع دون  
حرك . ولكنه يبقى عاجزاً ، عن اتخاذ الخطوة  
الحاسمة . »

مصطفى : هاهي ذي الوردة التي أخذ بجناقها تنحني على غصنها ، في نهاية  
قدرها .. هل يجب ان ادع الوردة لعواصف الرمال ، لقبلة  
العقاب ؟ ام يجب علي ان اذبح الوردة ، او ارضى بتدنيستها ؟  
ايتها المرأة المتوحشة ! ان اسفح قليلاً من دمك . تلك هي  
الجريمة الوحيدة التي انا محروم منها .

لم املك قط القدرة الكافية على التكم امام ظهور المنافسة المفاجئة .  
ولن املك القدرة الكافية على اخفاء سري اذا ما قضيت عليك .

المنشدة : « تبدو وكأنها اختارت فكرة التضحية »  
انها لم تتل قصاصاً .

فاشتهت قسوتك ، التي ستمر دون قصاص .  
دعها تتحطم عليك .

مصطفى : « يتخبط في فكرة ضرورة القتل »

لعلي فريسة وسواس !

واعلها تنتظر مني ضربة الخلاص !

أي مجرم لا يحشى جريمة كعهذه من دون مذنب  
أقوى هنا على تشويه هذا الوجه الأنثوي ، هذه الفتنة القاهرة ؟



المنشدة : تَعَسّاً للفتاح ، ولكل فتوحاته ! تلك هي المرأة المتعبّة التي  
لا تُقهر .. ولن يكون لحدادها نهاية . .

« تتوضح صور الجنود على الشاشة ، على حساب صورة  
العقّاب الذي يضطرب امام هذا التطفل على مملكته ، على  
مشرحة الجثث المجهولة التي هي صحراؤه ، لدى اقتراب الجنود ،  
تنهض بصعوبة الصبايا اللواتي سقطن اثناء المسير ، يمشن  
مترنحات ويلحقن بالمنشدة .

• هنا تطغى الاسطورة على التاريخ .

ان الجرقة التي أُعيد تشكيلها في هذا البُحْران  
الجماعي ستصبح الشخصية الرئيسية في المأساة ، لها الكلمة الأخيرة :  
لا شيء يخص الفرد . يجب ان يتقاسم مع غيره كل  
شيء في الغموض الأرضي ، قناعه ، سرّه ، وأهواءه . . حتى  
ولو كان ذلك في مقابل حياته المقبلة . ان هذا أساسي لحاتمة  
المأساة حيث تتجلى الاسطورة أشد حدقا ، واكثر سخاء ،  
وأشد وضوحاً من التاريخ . إنه ثار الكلمة القديمة ، ثار  
الشعر المسرحي على المسرح .

الجرقة التي تقف مواجهة الشاشة تسيطر على الوضع  
لتقدم للعالم الحديث القناعة التي فقد مذاقها .

الجوقة : « ترثي خطر المرأة المتوحشة . »

ليتك الفريسة التي تأخرت

معرضة لكثير من الجوارح

لقد انحط بسببها اكثر من عقاب واحد من افقه  
ولم يعد يحس أجنته .

المنشدة : لنبكِ الفريسة التي تأخرت معرزة لكثير من الطيور الجوارح .  
الجوقة : لنبكِ المجرم الذي لم يعد يعرف كيف يمسك سلاحه .  
ليس له عند العشيقة إلا أمر غير متوقع ، ولكنه لا يستطيع  
تنفيذه كما لا يستطيع الحياة بعد ذلك .

المنشدة : لنبكِ المجرم الذي لم يعد يعرف كيف يمسك سلاحه .  
إن دموعنا لتبدو قاسيةً بالنسبة اليه خاصة .  
إن الاحتقار المستعر للعداري يهبطُ ذراعه المترددة .  
الجوقة : ولكنكِ أنتِ ، ايها المرأة المتوحشة . لقد فوجئتِ أثناء  
فرارك ، وأعدتِ الى عذابك . لقد سلبكِ حُبُّ الرجال  
الذين كانوا يرفعونكِ عالياً أثناء قتالهم .

والذين لن تحفِّ أذرعهم لانتشالك من سقطتك .  
المنشدة : لقد سلبكِ حُب الرجال الذين كانوا يرفعونك عالياً في معاركهم .  
والذين لن تحفِّ أذرعهم لانتشالك من سقطتك .  
مصطفى : كالغازي يرسف في أغلال جريمته اتجنب ، وأخشى هذه الفريسة  
التي تقر من البنان .

والتي أطفئت في رماد الرجل الذي سبقني ..

المنشدة : كالغازي يرسف في أغلال جريمته ..

« صورة العقاب تسيطر على المكاث ، إنه يسرع في  
طيرانه كأنه يريد أن يسبق الجنود . »

الجوقة : « بقلق » العُقَاب ، العُقَاب ، العُقَاب الأسود والأبيض ..  
مصطفى : « هيز المرأة المتوحشة . »

لمنهي .. إن العقاب يحوم فوقنا .

ولكنك لم تصبحي تحت رحمته بعد .

إن قلبك يضح . هذه ساعة العُقَاب ، ساعة النضال

من أجل الحياة .

إني أسمع دمك يدوي كعاصفة حيرى ، قريبة من

الذعر .

وها أنتِ مجروحة في الصميم ، في متناول قبضة

غاصبٍ جديد .

الجوقة : « برعب »

ها هو ذا الطائر الجارح الغيور . إنه يخطئ حولنا دائرة

الثارات .

المنشدة : « متوسلةً إلى الجوقة »

يا حمامَ الشؤم والنحس !

أهربن فعين العُقَاب تكفي لتمزيقك .

أهربن يا حمامَ الشؤم ،

الطليقات ، الجريجات ،

أهربن من الطقوس البغيضة للطائر الأرملة ،

لا تنتظرن أن يختار .. ذلك العُقَاب الحاقد .

« ينطفئ النور . ظلام دامس . »

المنشدة : « بصوت فاجع »

العُقَاب ، العُقَاب

العُقَاب والعشيق يتنازعان الميتة .

الجوقة : « في العتمة »

تشجعن ! اننا ندخل في الملحمة الضارية ،

في جَلَبَةِ المنقار والمدية

الذين يصطرعان .. الذين يصطدمان ..

لقد عاد الطائر الهائج أخيراً الى التحليق ..

إنه يُمْطِر قطراتٍ من الدم ..

إنه يُمْطِر قطراتٍ من الدم ..

المنشدة : « في الظلمة دائماً . »

لم يعد للرجل المقتنع من شيء . لقد فقد حتى وجهه .

ليس عليه بعد اليوم أن يراقب العدو الذي يتقدم .

وليس علينا نحن أيضاً إلا أن نَطُئِ رصاصاتنا

الأخيرة .

« وابلٌ من الرصاص يُسمع دويّه في الظلام .

صيحات حرب . يعود النور تدريجياً الى المسرح ،

حيث يصوب الجنود نيرانهم على الجوقة المطوّقة . مصطفى

تحت القناع الدامي ، وقد أعمته ضربات العُقَاب ، يتلمس

طريقه باتجاه المرأة المتوحشة التي يتسلّى الجنود في التحقق من

موتها بركلات من اقدامهم . ضابط يمسك بيديه قيلاً مفتوحاً

— على سبيل الدعابة — في طريق مصطفى الذي يمشي ويده  
ممدودتان الى الامام . يطبق القيد على معصيه في اللحظة التي  
يريد فيها لمس جسد المرأة المتوحشة للمرة الاخيرة . يحدث  
كل ذلك في جو من البرود العام . ثم يعود العقاب الى  
الظهور للمرة الاخيرة على المسرح . يضرب بجناحيه بينما يغادر  
الفوج جنوداً وأسرى ، خشبة المسرح ، تاركين الجثتين .  
ظلام مطبق . قرعات صنج . يُسمع صوت الجوقة من بعيد «  
الجوقة : لا .. لن يموت ..

إنه من أولئك الذين يقضون معظم ايام حياتهم في السجن ،  
او المصح ..

ليست هذه هي المرة الأولى .

المنشدة : يحدثُ دائماً أن تفرغَ الاسلحةُ من ذخيرتها .

لقد تكلم الدم اكثر مما ينبغي .

لم تعد العقبانُ تكفي لرفع الجثث

ان الارض المسمّدة تطالب بمزيد من الحراثة .

الجوقة : لا . . لن نموت هذه المرة ، لن نموت هذه المرة . لم تعد

المرأة المتوحشة موجودة . ولكن الحرب تجسدها . .

والحرب بحاجة إلينا .

المنشدة : الأجداد في ارتياح

منذ أن حللنا رموز رسالتهم .

منذ أن صهرنا أغلالهم ؛



- وعشنا حلمهم ،  
وسهرنا على نومهم •  
ليس للأشباح أن ترفع رؤوسها بعد الآن • •  
الجوفة : الأجداد في ارتياح •

— انتهت —

1870

1871

1872

1873

1874

بسم الله الرحمن الرحيم  
الحمد لله رب العالمين  
والصلاة والسلام على  
سيدنا محمد وآله الطيبين  
الطاهرين

تصميم الغلاف وعناوين الصفحة الاولى  
للفنان عبد القادر أرناؤوط

عناوين الصفحات الداخلية  
للخطاط فوزي





نشر وتوزيع

كتاب المشق

للطباعة والنشر والتوزيع

اديب تنباجي

دمشق - شارع بربرسيه هاتفه ١١٦٦٥

السعر ١٢٥ ق.س

الجمعية التعاونية للطباعة دمشق